الأولياء والكرامات

تأليف

ابى السمح محمد عبد الظاهر
إمام وخطيب الحرم المكى

١٣٦٨ — ١٩٤٩

مطبعة الإمام
١٠ ـ الدمالشة عابدين ـ مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أكرم أولياءه بأنواع الكرامات وأذل أعداءه وأهانهم بمالا يحصى من الاهانات (ومن يُهن الله فما له من مُكرم ان الله يفعل ما يشاء – أحمده وأشكره وأتوب اليه وأستغفره وأسأله من فضله التوفيق لما يحبه ويرضاه ، وأشهد ألا إله الا الله وحده لاشريك له فى ربوبية ولا إلهية ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وامام المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فلما رأيت الناس منصرفين إلى دنياهم مكتفين فى الدين بتقليد مشايخهم وآبائهم ، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً وصاروا إلا من شاء الله منهم – فى ظلمات الجهالة لايميزون بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ولايفرقون بين الكرامات والخرافات ، لما رأيت ذلك من كثير منهم بدا لى أن أكتب هنا فصولا مبيناً ما اشتبه عليهم راجياً من الله تعالى هدايتهم وانقاذهم من هذه الظلمات المهلكات ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

« المؤلف »

الكرامات

(معناها فى اللغة والاصطلاح)

أصل الكرامة فى اللغة من الكرم ، يقال أكرمه اكراماً وكرمه تكريماً . وكرامة ضد اهانة ، والكرامة ضد الاهانة يدل على ذلك قوله تعالى (ومن يهن الله فما له من مكرم) الآيه

وكل معروف واحسان تفعله لانسان بدون مقابل فهو اكرام منك له .

والكرامة فى الاصطلاح ، أعنى اصطلاح المتكلمين - الأمر الخارق للعادة يجريه الله على يد عبد صالح له متبع للشرع فاذا كان غير متبع للشرع فهو استدراج واهانة

والكرامة عامة وخاصة ، أما العامة فنى قوله تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) وكل ما أنعم الله به على بنى آدم من نعمة وامتن به عليهم فهو اكرام لهم غير أن منهم من يشكر الله فيزيده من فضله ، ومنهم من يكفر فيعذبه كما قال (لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد)

وأما ما يكرم الله به عباده الأبرار من الكرامات ، فذلك لايعد ولا يحصى ، فهو كما قال جل وعلا (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها — وسنذكر طرفاً مما أكرم الله به بعض عباده ان شاء الله ونبين الفرق بين الكرامة والخرافة

ثبوت الكرامة لعباده الابرار

إن اكرام الله لعباده الابرار ثابت بالعقل والنقل بالكتاب والسنة والاجماع ولا ينفى الكرامة إلا مخبول

أما ثبوتها بالكتاب فقد قال تعالى فى مريم (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت هو من عندالله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) فهذه كرامة من الله لها ، وانطاق الله تعالى عيسى ابنها فى المهد حيث قال جل شأنه (فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً ، قال اني عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً) الآيه . كرامة أو اكرام من الله لها — وهذا من الكرامات الخارقة . . . وأما ما كرمها الله به من طاعته والاقبال عليه فهذا أفضل الكرامات ولا شك .

وأما من السنة فسيأتى فى محله الشيء الكثير إن شاء الله

وأما بالعقل فاذا كان الله لا يكرم أولياءه وأحبابه فمن يكرم ؟

وأما الاجماع فقد اتفق السلف والخلف على ثبوت الكرامة لاولياء الله ، غير أن الخلف تصرفوا فى تعريفها وفهموا منها غير ما كان معروفاً عند السلف ، ولذلك أصبحوا لا يميزون بين الكرامات والخزعبلات ، وهذا ما دعاني لتأليف هذه الرسالة

مناقشة فى التعريف الاصطلاحى للكرامة

يقولون ان الكرامة هى الأمر الخارق للعادة على يد رجل صالح إلخ .

وقد تواتر أن كثيراً من الوثنيين يأتون بالخوارق كمشى بعضهم على الجمر ، ومشيه على الماء ، وصعوده فى السماء بغير سلم أو مصعد كوثني الهند ، ودفنه فى التراب أياماً وغير ذلك . وما يفعله السحرة ـ وكل ما خالف إلف الناس من شعوذة أو صناعة يعده الناس خارقاً للعادة ، حتى أن كثيراً من الناس ليعدون (الراديو) والتلفون اللاسلكى من السحر ومنهم علماء لا يعتبرون أخباره فى الشرع ؛ ولا يبنون عليها صوماً أو افطاراً ولا نحو ذلك .

وقد يجرى الخارق للعادة على يد رجل صالح متبع للشرع ولا يكون من باب الكرامة ، وذلك كرجل راض نفسه بالصوم وغيره فظهر له بهذه الرياضة النفسية مانسميه نحن خارقاً للعادة ونعده من الكرامة ؛ مع أن الكافر لو تريض هذه الرياضة لظهر له ما ظهر لذلك الرجل الصالح سواء . ثم من الكرامة ما ليس بخارق كالتوفيق للطاعة .

اذن فتعريف الكرامة بهذه الصفة تعريف ناقص باطل والصحيح عندى أن الله يكرم عباده الابرار بأنواع الكرامات خارقة وغير خارقة

ومن الكرامات تعليم الله عبده الصالح العلم النافع واستعماله فى طاعته وعبادته ؛ وهذه أفضل الكرامات عندى ، وقد ورد فى الصحيح « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » وقيل ما اتخذ الله من ولى جاهل ولو شاء لعلمه .

الكرامة وعلم الغيب

يعتقد كثير من أهل هذا الزمن أن الإخبار بالغيوب من المكاشفه ، والمكاشفه دليل عندهم على الكرامه والولاية ؛ وهذا

ليس بصواب على اطلاقه ، قال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) الآيه . وقال جل شأنه (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول) الآيه ، وقال عز من قائل (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب) وقال لرسوله (قل ما كنت بدعاً من الرسل وماأدرى مايفعل بى ولا بكم) وقال (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) الآيه .

وورد فى الصحيح أن النبي ﷺ نهى البنات اللاتى كن يغنين ويقلن مدحاً فيه (وفينا رسول الله يعلم ما فى غد) وإذا كان الرسل لا يعلمون الغيب إلا ما خصهم الله به فغيرهم أولى

نعم : قد يخبر بعض الناس بأشياء من قِبل الكهانة أو التنجيم أو التخمين والظن فيقع بعضها ، أو يكون قد وقع فى الماضى فيعتقد فيهم بعض الغافلين أن ذلك كرامة ومكاشفة ، وهذا دليل فى زعمهم على الولاية ؛ وأن صاحب هذه المكاشفة من أولياء الله ، وهذا غلط واعتقاد باطل ، وما هذا ومثله بدليل على الولاية لله ، وذلك أن الله تعالى عرَّف أولياءه بغير الاخبار بالغيوب والمكاشفات فقال تعالى « ألا إن أولياء الله لاخوف

عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون » الآيه فوصفهم بالايمان والتقوى ، ولم يقل الذين يعلمون الغيب ويخبرون به ، ولا الذين يأتون بخوارق العادات ، ولا الذين يلبسون المرقعات ويصيحون فى الطرقات .

وقد أخبرنا بعض الثقات أن رجلا كتابياً أصابه خبل فى عقله ، أومرض استعصى على الأطباء ، وكان يخبر ببعض الأخبار فتأتي كما أخبر ، ومن ذلك أنه قال ذات يوم : ان فلانا قام من بلدة كذا (اسكندرية) الساعة كذا ، وبعد مدة قال نزل فى محطة مصر الآن وهو متوجه إليّ ليعودنى ـ وكان يكرهه ـ فلا تدخلوه على . ها هو الآن يدق الباب ؟ ! فنظروا فاذا هو الرجل المذكور !! فسألوه متى قمت من الاسكندرية ؟ قال الساعة كذا . فكان كما قال بالضبط .

وكثير من وثني الهند يخبر بنحو ذلك ، وبعض المشعوذين من الافرنج يقرأ الجريدة وهو على عينيه سبع رفارف أو سبع طبقات من القماش الكثيف .

وبعض الناس يستخدم الشياطين فيخبرونه ببعض الأخبار كما قال تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على

كل أفاك أثيم ، يُلقون السمع وأكثرهم كاذبون) وقد روى البخارى فى صحيحه ما يفسر الآية من حديث الزهرى ؛ قالت عائشة رضى الله عنها سأل ناس النبي ﷺ عن الكهان فقال : انهم ليسوا بشىء . قالوا يا رسول الله فانهم يحدثون بالشىء يكون حقاً ؟ فقال النبي ﷺ تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرقرها فى أذن وليه كقرقرة الدجاج فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة .

وقد روى فى مواضع أخرى من البخارى وفى بعضها زيادات نقتصر منها على ماذكرنا هنا ، ومن الناس من يطلع على بعض الغيوب البسيطة بأسباب كثيرة كالتنويم المغناطيسى ، وكعلم الفراسة ، وبالرياضة الروحية ، وكل ذلك لا يكون كرامة ولا دليلا على ولاية العبد لله .

نعم : قد يطلع الله وليه على شىء من الغيوب ، إما بالالهام أو فى النوم إذا كان فى ذلك مصلحة للولى نفسه ، أومصلحة عامة للمسلمين ، كما وقع لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قال يا سارية الجبل ، وكان سارية أمير سرية وكان الأعداء يريدون الاحاطة به ، فأرى الله تعالى عمر الموقف فقال ياسارية

الجبل ، أى الزم الجبل مع بُعد ماينهما ؛ وقد أوصل الله صوت عمر إلى سارية فى الحال ؛ ونجا سارية ومن معه بسبب ذلك والله أعلم ، فهذه مصلحة عامة ، وأما المصلحة الخاصة فكما ورد أن رجلين من الصحابة خرجا من بيت صاحب لهم فى ليلة مظلمة فكان لهما نور يمشيان فيه ، فلما افترقا افترق النور معهما وسنذكر قصتهما فى باب ايراد الكرامات

ولا بأس أن أذكر شيئاً مما يقع لى بكثرة ولا أعده دليلا على ولاية ولا أغتر به ، ولا بأكثر منه إن شاء الله ، فمن ذلك ـ أنى أذكر بعض الاخوان فى نفسى فما ألبث حتى ألقاه ان كان قريباً ، أو يجيئنى منه خطاب إن كان بعيداً فى قطر غير القطر الذى أنا به ـ وأما الرؤى فلا تكاد تخطىء منها واحدة

الكرامة ليست بيد الاولياء

الكرامة كالمعجزة كل منهما بيد الله تعالى ، برهان ذلك قول الله تعالى (ويقولون لولا أنزل عليه آيات من ربه ؟ قل إنما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين) والآية فى لسان أهل هذا الزمان هى المعجزة ؛ وقال تعالى (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم

انها إذا جاءت لا يؤمنون) وفى القرآن الكريم كثير من مثل هذه الآيات الدالة على أن آيات الرسل ليست بأيديهم متى شاءوا أو متى اقترح عليهم أن يأتوا بشيء منها أتوا به بل متى شاء الله تأييد رسوله بأية آية كانت باذن الله

وإذا كانت الآيات التى يؤيد بها رسله لا يملكونها فمن باب أولى الكرامات، وانما يكرم الله عبده الولى بما شاء من الكرامات فاذا رأيت أحداً يتبجح بأنه قادر على اظهار كرامة كما يدعى بعض مشايخ الطرق انه قادر على أن يريك الرسول ﷺ عياناً أو انه يأمر الكرسى ينتقل اليه فيجيء، أو يأمر أريكة (كنبة) أن ترتفع فترتفع ، فاعلم أنه من اخوان الشياطين ، وأنه دجال مشعوذ يفعل ذلك ليستولى على عقول السذج ، وأما ولى الله فهو أخشع لله وأخوف أن يعمل مثل هذه الأعمال ، ولو أجرى الله على يديه كرامة فانه يستحى أن يذكرها ويخاف أن تكون استدراجاً له من الله .

ومن الشناعات التى يحكيها بعض الناس عن مشايخهم ويعدونها كرامات لهم لاعتقادهم فيهم كما يقول أحدهم : أن البدوى المدفون بطنطا أتى بالأسارى من بلاد الكفار ، وأنه

شرب البحر ، ويؤلفون مثل هذه الخزعبلات فى كتب يطبعونها بالآلاف ويوزعونها على الناس ، ومن ذلك الكتاب المسمى بمنن الشعرانى الذى يقول فيه عن نفسه : ومما منّ الله به علىّ كذا وكذا ، فاذا تأمل العاقل فيه وتأمل أقل تأمل وجد كثيراً من الكفريات التى يكفر معتقدها ، ومن ذلك ما يحكون عن بعض أوليائهم أنه مات طفل لمريده فحزن عليه ولم يسعه إلا أن يذهب إلى وليه ويشكو له ؛ قالوا فنظر الشيخ بين السماء والأرض ثم صعد السموات يفتش على ملك الأرواح فلقيه صاعداً بما قبض من أرواح فى ذلك اليوم ، فاستوقفه وقال له من أمرك بقبض روح فلان اليوم ؟ قال : الله ، قال فلِمَ لم تستأذنى وضربه على يده ضربة أوقعت منه وعاء الأرواح فانتقلت كل روح إلى جسم صاحبها . قالوا وذهب الملك يشتكى إلى ربه ويقص عليه الحكاية فقال له ربه (يزعم الضلال الخسرة الفجرة أنه تعالى قال له : « لا بأس لا تقبض روح أولاد مريدى الشيخ حتى تستأذنه — نعوذ بالله من هذا الكفر .

وهذا وأمثاله يعدونه كرامات للدسوقى وعبد القادر والبدوى وأمثالهم ممن يعتقدون فيهم القطبانية وتدبير الأمر

فى السماء والأرض قاتلهم الله أني يؤفكون .

ومنهم من يزعم أن الشيخ الفلاني طار بالنعش وأنه أوقف القطار وهو مسرع ، فتقول له هل رأيت ذلك بعيني رأسك فيقول لا ولكن سمعت الناس يقولون ، ومنهم من يفترى الكذب ويقول نعم — ولقد جلسنا مرة عند عالم مصرى يشار اليه بالبنان فكان مما قصه علينا أن رجلا كانوا يعرفونه أيام طلبهم العلم بالأزهر ، وأنه كان يخبرهم بما سيكون من نجاح فلان وخيبة فلان ، ويستدل بذلك على ولايته ، وهذا الشيخ من أمثل علماء هذا الزمن وأطهرهم عقيدة وأحسنهم معرفة

الولى عند العوام وجمهور علمائهم فى هذا الزمن

الولى عند العوام وجمهور علمائهم فى الأحياء كل مخبول العقل أبله يسمونه مجذوبا ويعتقدون فيه غاية الاعتقاد حتى أنهم ليدخلونه على المخدرات من نسائهم ويتركونه معهن كأنه محرم لهن ، وهم يعلمون أنه لا يصلى ولا يصوم ، ولا يتقيد بأمر ولا نهى — وقد يرونه على منكر فيتأولونه له . وقد كان فى بندر الجيزه رجل من هذا الصنف يعتقد فيه ثرى وجيه من وجهائها وكان لا يطلب منه شيئا يقدر عليه إلا أنفذه له ، ومن ذلك

أنه كان يطلب منه أحياناً مبلغاً من الجنيهات فيعطيه ، ويأخذ ولد هـذا الوجيه معه يحمل المبلغ فيؤم العاهرات في القاهرة ويأمر (حضرة الولى) الأفندى أن يعطى هذه المومس مبلغ كذا فيعطيها وهذه كذا فيعطيها ، ويدخل الشيخ عند بعضهن والأفندى على الباب ، ثم يخرج بعد ساعة ويعودان وقد فرقا المبلغ كله ـ وبعد هذا كله يعتقدون فيه البركة ؛ وأنه إنما يفعل ذلك لأنه يعلم حاجة هؤلاء العاهرات إلى هذه المبالغ المقدرة وأنهم إنما يعيشون في بركته ، وأنه ما جاء هذا الوجيه سعده وثراؤه إلا من قبل هذا الشيخ ـ وحدثت أنه يجلس على الخمارة ويطلب نوعاً من الخمر فيشربه فينقلب لبناً حليباً له ، وإنما يطلب الخمر ليغتابه الناس ، وهو ما يشرب إلا حليباً لأن الله أكرمه ؛ فهذه كرامة في أعينهم ـ وسر المسألة أن من أنواع الخمر نوعاً إذا مزج بقليل من الماء صار ذا لون أبيض كالحليب فهذا الشيطان يطلب هذا النوع ويكون قد وضع قليلا من الماء في فيه حتى إذا أخذ كاس الخمر ووضعه على فمه أنزل فيه ذلك الماء فصار أبيض ، فيقولون هذه كرامة من الشيخ ، وعلى هذا فقس .

وللشيطان مداخل وتلبيسات من هذا النوع على هؤلاء العوام ومشايخهم أضلهم بها عن طريق الشرعة السمحة وأوقعهم بها فى المهالك وهم لايشعرون ، فالحمد لله الذى هدانا وأنقذنا من شباكه ونخاخه .

وثم نوع آخر من الأولياء عند هؤلاء العوام وعلمائهم وهم ذوو الأضرحة والقباب ، فكل قبة تحتها ضريح فهوولى عندهم يعبدونه من دون الله ؛ فيطوفون حوله ، ويستلمون أركانه وينذرون له النذر ، ويذبحون باسمه الذبائح ؛ ولكل ولى سدنة وصاحب صندوق يستلم النذر ، ولهم ميعاد يوزعون هذه النذور على السدنة وشيخ المسجد ، وللأوقاف من ذلك حصة وافرة ولكل ولى من هؤلاء مولد يطعمون فيه الطعام ، ويسقون فيه الشراب باسم الشيخ ، وهذه فتنة عمت الاقطار الاسلامية كمصر والشام وتونس وسائر بلاد المغرب

فان كان الولى رجلا عملوا له صورة رجل ووضعوا له عمامة على الخشبة المنصوبة، وإن كان أنثى زينوه بزينة أنثى كالسيدة زينب مثلا ، وما هى إلا صور صنعوها بأيديهم ، وأولياء الله يبرءون منها كل البراءة ، كما يبرأ منها الاسلام ، وما هذه الصور

إلا أوثان الجاهلية وأصنامها تماماً بلا ريب ولا شبهة ، وانهم ليعبدونها باسم التوسل ويدعونها من دون الله ، زاعمين أنهم يتوسلون الى الله بها ؛ وقد كذبوا على الله ورسوله ودينه (إن يدعون من دون الله إلا إناثاً وان يدعون إلا شيطاناً مريدا لعنه الله) وقال (لأتخذن من عبادك نصيباًمفروضاً)

اوليباء الله حقا

أما أولياء الله حقاًفهم الذين قال فيهم «ان أولياؤه الاالمتقون والذين قال فيهم « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون » الآيات ، هذا ماوصف الله به أولياءه ، الايمان والتقوى

وإذا عرفت ذلك فانظر ماذا قال الله فى كتابه فى صفة المؤمنين ، قال تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذاتليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) فانظر كم صفة وصفهم الله بها وعدها تجدها خمسة ، وانظر شهادة الله لهم

المؤكدة بقوله (حقاً) وما وعدهم به من الدرجات عنده والمغفرة والرزق الكريم

وقال تعالى فى وصفهم « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين) الآية (والذين لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وقال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) الآيات

أولياء الله وأعداؤه

وأنت إذا قرأت القرآن وتأملته من أوله إلى آخره لرأيت أن الناس قسمان : أولياء لله وأعداؤه لا ثالث لهما غير أن أولياء الله درجات كما أن أعداءه دكارت قال تعالى (والعصر إن الانسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) فأقسم سبحانه بالعصر أن جميع بنى آدم فى خسران

إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ ، وهم أولياؤه ؛ وأما الخاسرون فهم أعداؤه .

ويوم القيامة كذلك يكونون فريقين قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون)

ومثل ذلك قوله تعالى (يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ)

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) الآية

بقى من وصف أولياء الله التقوى التى قرنها بالايمان فى سورة يونس حيث قال (الذين آمنوا وكانوا يتقون) أى متى اجتمع الايمان والتقوى فى انسان ذكر أو أنثى فهو من أولياء الله

التقوى ما هى

فسرها العلماء بأنها التزام أوامر الله واجتناب نواهيه أو هى خوف من الله فى قلب عبده يحمل على اتباع المأمور واجتناب المحظور ، وقد أوصى بها الذين أوتوا الكتاب وإيانا حيث قال (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله)

وقد علق على التقوى كل خير وفلاح وسعادة فى الدنيا والآخرة حيث يقول (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) وحيث يقول (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا — ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا)

وقال فى المتقين « ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » وقال فيهم « إن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ـ وقال « إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » فاذا اتقى العبد ربه وخاف مقامه أحبه وكان وليه

معنى الولى

الولى فى اللغة يطلق ويراد به المحب والناصر وابن العم وهو ضد العدو ، فولى الله معناه ناصر دينه يحب مايحب الله ويبغض مايبغض الله ، يحب لله ويرضى لله ويسخط لله ، وقد قال تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يكونوا نصراءه (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) الآية

كيف تكون وليا لله

إذا اتبعت أوامر الله واجتنبت نواهيه كنت وليـاً له جل شأنه .

بأى شىء يعرف الولى لله

يعرف بطاعته لله وكثرة عبادته وذكره له وزهده فى الدنيا وعدم الحرص عليها وتذكره للآخرة والعمل لها وأولياء الله فى ذلك درجات

هـل تقع منهم معاص

نعم قد يقعون فى المعاصى ولكن لايصرون عليها ، وليس

بمعصوم الا الأنبياء ، واختلف العلماء هل الأنبياء معصومون من الكبائر والصغائر ، أم من الكبائر فقط ؟ ويجوز أن يقعوا فى الصغائر - والحق إنهم معصومون من الكبائر والصغائر لأنهم مثال الكمال الانساني والقدوة العليا للبشر - نعم قد يقع منهم خلاف الأولى ندوراً عن اجتهاد لا عن اصرار ولا تعمد ولا يتركهم الله عليه حتى يعاتبهم فيه كما قال تعالى لرسوله ﷺ (عفا الله عنك لِم أذنت لهم) وكما عاتبه فى أسارى بدر اذ قال « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » وكما عاتب داود وسليمان وغيرهما من الانبياء

هل يجوز لولى الله أن يقول أنا ولى الله

نعم يجوز لكن لا فى كل وقت بل حيث تدعو الحاجة من غير تطاول ولا افتخار كما إذا قيل لك أنت مؤمن ؟ فتقول نعم وانما يذم المدعى بدون دليل والمنتحل الألقاب الجميلة وهو منها براء كاليهود الذين زعموا أنهم أولياء لله من دون الناس وكانوا كاذبين فى زعمهم فأخزاهم الله حيث قال

قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً بما قدمت

أيديهم والله عليم بالظالمين) فيفهم من هذه الآيات أنهم كانوا حريصين على الحياة الدنيا وهذا الحرص مناف لدعوى الولاية لأن الولى العارف بالله يزهد فيما حقر الله وزهد فيه ، وقدزهد اللهورسلهفى الدنيا ورغبوا فى الآخرة ، ولذلك كلفهم تمنى الموت إن كانوا صادقين فى دعوى ولاية الله وأنى لهم قاتلهم الله

الزهد فى الدنيا من آيات الولاية بعد الايمان والتقوى

إن الولى ما سمى ولياً لله الا لأنه يحب ما يحب الله ويبغض ما يبغض الله ، والله تعالى قد زهد فى الدنياوضرب لها الأمثال فى كتابه بمالا يبقى لها فى قلب محب له عارف به مثقال ذرة من حب ، ونحن ذاكرون بعض الآيات والأحاديث فى ذلك

قال تعالى (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم باللهالغرور وقال جل من قائل « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيلالمسومة والأنعاموالحرث ذلكمتاع الحياة الدنياواللهعنده حسن المآب» وقال (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وأن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون) وقال (من كان يريد الحياةالدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك

الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون — وقال عز من قائل (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون سورة القصص وقال « بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى — وفى هذا المعنى آيات كثيرة كلها تزهد فى الدنيا ، وأما الأحاديث فاليك طرفاً منها وهى كثيرة أيضاً

الأحاديث المزهدة فى الدنيا

الحديث الأول : عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ إن سرك اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب وإياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقى ثوباً حتى ترقعيه » أخرجه الترمذى وزاد رزين ، قال عروة فما كانت عائشة تستجد ثوباً حتى ترقع ثوبها وتنكسه ، ولقد جاءها يوما من عند معاوية ثمانون الفاً فما أمسى عندها درهم فقالت جاريتها فهلا اشتريت لنا منه بدرهم لحماً فقالت لو ذكرتينى لفعلت ـ قلت تأمل ذهول عائشة عن الدنيا وعن نفسها ورغبتها فى الآخرة وعملها لها .

الثانى : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله

ﷺ يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ، وفى أخرى كفافا أخرجه الشيخان والترمذى - الكفاف الذى لا يفضل عن الحاجة

الثالث : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالم ومتعلم » أخرجه الترمذى

الرابع : وعنه رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » أخرجه مسلم والترمذى

الخامس : عن أنس رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « حب الدنيا رأس كل خطيئة وحبك الشىء يعمى ويصم أخرجه رزين .

السادس : عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ، دخلت على رسول الله ﷺ وقد نام على رمال حصير وقد أثر فى جنبه فقلت يارسول الله لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه فقال مالى وللدنيا ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها . أخرجه الترمذى وصححه

السابع : عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى

كافراً منها شربة ماء » أخرجه الترمذى

الثامن : عن قتادة بن النعمان رضى الله عنـه قال ، قال رسول الله ﷺ إذا أحب الله عبداً حماه من الدنيا كما يظل أحدكم يحمى سقيمه الماء » أخرجه الترمذى

التاسع : وعن على رضى الله عنه قال : ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة وإن لكل واحدة منهما بنين فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل . أخرجه رزين وأخرجه البخارى تعليقاً .

العاشر : عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ ان الدنيا حلوة خضرة وأن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا والنساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت النساء وفى نسخة أخرى فى النساء . أخرجه مسلم والنسائي .

١١ . قال البخارى (باب مثل الدنيا فى الآخرة وقول الله تعالى (انما الحياة الدنيا لعب ولهو الآية إلى الغرور) بسورة الحديد ثم قال بسنده

١٢ : عن سهل قال سمعت النبي (ص) يقول موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ولغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها .. وساق سنده إلى ابن عمر

١٣ : وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال أخذ رسول الله (ص) بمنكبي فقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان ابن عمر يقول إذا أمسيت فلاتنتظر الصباح وإذا أصبحت فلاتنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك

وقال البخارى (باب فى الأمل وطوله) وقول الله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وماالحياةالدنيا إلا متاع الغرور ـ وساق حديث على الموقوف وقد قدمنا ذكره

١٤ : وذكر أبو داود فى سننه فى باب ترك الوضوء من مس الميتة ، قال حدثنا عبد الله بن مسلمة ، وساق سنده الى جابر رضى الله عنه أن رسول الله (ص) مر بالسوق داخلامن بعض العالية والناس كنفيه فمر بجدى أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال أيكم يحب أن هذا له وساق الحديث

والحديث أخرجه مسلم فى الزهد من صحيحه وبقيته أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ فقالوا ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به ؟

قال تحبون أنه لكم قالوا والله لو كان حيا كان عيبا فيه لانه أسك فكيف وهو ميت فقال والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم قال وأخرجه البخارى فى الادب المفرد وفيه الأسك الذى ليس له أذنان ؛ وفى معنى الأسك أقوال قيل يطلق على ملتصق الاذنين وعلى فاقدهما وعلى مقطوعهما وعلى الأصم الذى لا يسمع ورجح الأول قوم ورجح الثانى آخرون والثالث بعضهم. قلت وعلى كل قول الأسك عيب فى أذنيه مع أنه ميت. فتأمل هذا المثل البليغ الذى ضربه رسول الله (ص) للدنيا وهوانها عند الله وهو المقصود . وبهذا نكتفى وبالله التوفيق

ميزان الولاية الكتاب والسنة

إذا رأيت من يدعى الولاية أوتدعى له فانظر فان رأيته متبعا للكتاب والسنة قولا وعملا وحالا فذاك وإلا فهو كذاب دجال .

وقد كثر من يدعى فى زماننا هذا الولاية ومن تدعى له من مشايخ الطرق وقد قال تعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ـ وقال ـ ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم

الآية ـ وقال ـ قل هـذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين)

وسبيل المؤمنين هى سبيل الصحابة والتابعين وهى سبيل رسول الله (ص) وسبيل أتباعه إلى يوم القيامة وهى التى قال فيها تركتكم عليها بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك :

وهى سبيل واحدة لاتفرق فيها ولا عوج فمن اتبع غيرها فقد ضل ضلالا مبينا ؛ ومن هنا تعلم أن الطرق الفاشية فى عصرناهذا وماقبله والتى يشيعها رؤساء الضلال وأولياءالشيطان مخالفة سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام وطريقته وهديه فاحذر أن تقع فيها فتكون من أولياء الشيطان .

ولنزدك بيانا فيهم حتى كأنك تراهم عيانا روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما وأبو داود عن حذيفة رضى الله عنه قال كان الناس يسألون رسول الله (ص) عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلت يارسول الله إنا كنا فى جاهليـة وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هـذا الخير من شر قال نعم قلت فهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن فقلت ومادخنه

قال قوم يستنون بغير سنتى ويهتدون بغير هديى تعرف منهم وتنكر قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها قلت يارسول الله فما تأمرنى أن ادركنى ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وامامهم قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك اهـ

قلت فمشايخ الطرق هم أولئك الدعاة على أبواب جهنم وهم أولياء الشيطان ، وهم الذين يهتدون بغير هدى الرسول (ص) ويستنون بغير سنته ، وهم خدام الافرنج ومطاياهم الذين يركبونهم لاستعمار بلاد الاسلام قاتلهم الله ،وهم بلاء الاسلام وعلته ومصيبته أراح الله منهم العباد والبلاد إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله .

وإذا كنا قد وصفنا لك دعاة الضلال وأولياء الشيطان فاسمع خطبة بليغة من خطب الامام على كرم الله وجهه فى وصف أولياء الله وعباده الصالحين وبضدها تتميز الأشياء كما قيل.

روى أن صاحبا لأمير المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلا عابدا فقال يا أمير المؤمنين صف لى المتقين حتى كأنى

أنظر إليهم فتثاقل عليه السلام عن جوابه ثم قال ياهمام اتق الله وأحسن فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فلم يقنع همام بهذا القول حتى عزم عليه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (ص) ثم قال :

أما بعد فأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم آمنا من معصيتهم لأنه لاتضره معصية من عصاه ولاتنفعه طاعة من أطاعه فقسم بينهم معيشتهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم فالمتقون فيها هم أهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع. غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالتى نزلت فى الرخاء ولولا الأجل الذى كتب لهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقا إلى الثواب وخوفا من العقاب .

عظم الخالق فى أنفسهم فصغر مادونه فى أعينهم فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة صبروا أياما قصيرة أعقبتهم

راحة طويلة تجارة مربحة يسرها لهم ربهم أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعا وتطلعت نفوسهم إليها شوقا وظنوا أنها نصب أعينهم وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زئير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم فهم حانون على أوساطهم مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم يطلبون إلى الله تعالى فى فكاك رقابهم وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء قد براهم الخوف برى القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم لايرضون من أعمالهم القليل ولايستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون ، إذا زكى أحدهم خاف مما يقال فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم بي من نفسى اللهم لاتؤاخذنى بمايقولون واجعلنى أفضل مما يظنون ، واغفر لى مالايعلمون

فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى دين وحزما فى لين

وإيمانا في يقين ؛ وحرصا في علم ؛ وعلما في حلم وقصدا في غنى وخشوعا في عبادة وتجملا في فاقة وصبرا في شدة وطلبا في حلال ونشاطا في هدى وتحرجا عن طمع يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسى وهمه الشكر ؛ ويصبح وهمه الذكر ، يبيت حذرا ؛ ويصبح فرحا ؛ حذرا لما حذر من الغفلة ، وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة ، ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره ، لم يعطها سؤلها فيما تحب ، قرة عينه فيما لا يزول ، وزهادته فيما لا يبقى ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل ، تراه قريبا أمله ، قليلا زلله ، خاشعا قلبه ، قانعة نفسه ، منزورا أكله سهلا أمره ، حريزا دينه ، ميتة شهوته ، مكظوما غيظه ؛ الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين وان كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين ، يعفو عمن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيداً فحشه ، لينا قوله غائبا منكره ، حاضرا معروفه ؛ مقبلا خيره ، مدبرا شره ، في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه ؛ لا يضيع ما استحفظ ، ولا ينسى ما ذكر ،

ولا ينابز بالألقاب ، ولا يضار بالجار ، ولا يشمت بالمصائب ، ولا يدخل فى الباطل ، ولا يخرج من الحق ، إن صمت لم يغمه صمته ، وإن ضحك لم يعل صوته ، وإن بغى عليه صبر حتى يكون الله هو الذى ينتقم له ، نفسه منه فى عناء ، والناس منه فى راحة ، أتعب نفسه لآخرته ، وأراح الناس من نفسه ، بُعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ، ليس تباعده بكبر وعظمة ، ولا دنوه بمكر وخديعة .

قال فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها . فقال أمير المؤمنين عليه السلام أما والله لقد كنت أخافها عليه ، ثم قال أهكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها ؛ فقال له قائل : فما بالك يا أمير المؤمنين فقال ويحك ، ان لكل أجل وقتا لا يعدوه وسببا لا يتجاوزه اهـ

فهذه الخطبة البليغة تجلى لك صفات أولياء الله الكمل وهذه الصفات منتزعة من آى القرآن الحكيم والسنة المطهرة كقول الله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ، إنها ساءت مستقراً ومقاما ، والذين اذا أنفقوا لم

يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولايزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما ـ إلى أن قال ـ والذين لايشهدون الزور ، وإذا مروا باللغو مروا كراما ، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ، والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما ، خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما . ا ه

وكقوله تعالى (إن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل مايهجعون . وبالاسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق للسائل والمحروم)

وكقوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .

ومن هذا الباب قوله جل وعلا (إن الذين هم من خشية

ربهم مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لايشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون ، أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون

ومن السنة ماجاء فى الصحيح عن عائشة قالت كان رسول الله (ص) اذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا انا لسنا كهيئتك يارسول الله ان الله قد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر فيغضب حتى يعرف الغضب فى وجهه ثم يقول ان اتقاكم وأعلمكم بالله أنا ـ والمقصود من ذلك أنهم كانوا يتقالون أعمالهم ويخافون مع ذلك ألا تقبل .

أولياء الله درجات

قال تعالى ولكل درجات مما عملوا ومار بك بغافل عما يعملون ـ هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ـ لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم . وقد قسمهم فى القرآن الى قسمين أصحاب اليمين والسابقون ، أو مقتصد وسابق ، قال تعالى ـ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير ـ فالمقتصد والسابق لا خلاف فيه وأما الظالم لنفسه

فاختلف العلماء فيه هل هو قسم ثالث يدخل الجنة أيضا بعد أن يطهر فى النار من ذنوبه أوأن ظلمه شرك فلايدخل الجنة أبدا . ولايعد قسما ثالثا ونحن قد اخترنا أنه ليس قسما؛ ويدل على ذلك قول الله تعالى فى سورة الواقعة (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود الآيات وقدقال قبل ذلك(وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم

فأصحاب الدرجة العالية هم الذين يأتون بالواجبات والمندوبات ويكثرون من النوافل ويحسنون الأعمال ويتقنونها كل الاتقان ويخافون ألاتقبل منهم ويحتقرون أعمالهم وينتهون عن المحرمات والمكروهات ويتورعون عن الشبهات ويزهدون فى الحطام الفاني وهم متفاوتون فى الولاية ولايعلم تفاوتهم الا الله .

وأول الدرجات من أخلص التوحيد وأتى بالمأموارات وانتهى عن المحرمات ولم يصر على فعل ذنب ان وقع منه

آيات لأصحاب الدرجة العالية أيضا

(ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) (انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء . الآية (كانوا قليلا من الليل مايهجعون وبالاسحار هم يستغفرون) ومما يدل على أنهم درجات من قول السلف مانقله الامام ابن كثير عن الحسن البصرى قال كان الاحنف بن قيس يقول عرضت عملى على عمل أهل الجنة فاذا قوم قد باينونا بونا بعيدا إذا قوم لانبلغ أعمالهم (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) وعرضت عملى على عمل أهل النار فاذا قوم لاخير فيهم فكذبوا بكتاب الله وبرسل الله مكذبون بالبعث بعد الموت فقد وجدت من خيرنا منزلة قوم خلطوا اعملا صالحا وآخر سيئا .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال رجل من بنى تميم لأبى يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ، ذكر الله تعالى قوما فقال :

(كانوا قليلا من الليل مايهجعون) ونحن والله قليلا من الليل مانقوم فقال له أبى رضى الله عنه : طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله اذا استيقظ

معاداة أولياء الله

روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال ان الله قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وماتقرب الىّ عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه ومايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وان سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره اساءته اه

أفاد الحديث أن من عادى وليا من أولياء الله فقد آذنه بالحرب أى أعلن عليه الحرب وأعلمه بذلك ؛ ومن ذا الذى يقدر على حرب الله وهـذا كقول الله تعالى فى أهل الربا المصرين عليه فان لم تفعلوا فاءذنوا بحرب من الله ورسوله الآية وفى الحديث بيان أحب الأشياء إلى الله يتقرب بها المتقربون

وأنها الفرائض والنوافل التي هي من جنس الفرائض — ولا يذهبن وهم واهم إلى أن الأحب لاينفي المحبوب فيقول نعم سلمنا أن الفرائض والنوافل أحب شيء إلى الله يتقرب به المتقربون لكن هناك محبوبا نتوسل به إليه وهم الأولياء فيدخلون في الشرك باسم التوسل كما يفعل أكثر الجهال اليوم وقد قال الله تعالى — والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى الآية وقال أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لايملكون شيئا ولايعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون.

وقال والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل وقال أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير

كيف يعادى أولياء الله ؟

يقوم ولي الله العارف به فيدعو الناس إلى عبادته وحده

وخلع الأنداد متأسيا فى ذلك برسول الله ﷺ يعلم أن عليه حقا لله بما علم من الكتاب والسنة ، فينبرى له الذين اتخذوا أولياء الله شفعاء ووسطاء زاعمين أنهم يقربونهم إلى الله وهم فى الحقيقة قد تركوا مايقربهم إلى الله وراء ظهورهم وأن أتوا بشىء منه كصلاة وصيام وحج وعمرة فقد نقضوه بدعائهم الأولياء والنذر لهم والذبح لهم وإقامة الأعياد المسماة عندهم بالموالد . قاتلهم الله

ينبرون لهذا الداعى إلى الله ويجاهدونه بكل ما استطاعوا ويستحلون دمه ويدعون عليه أنه ينكر الكرامات ويبغض أولياء الله وهم قد كفروا بالله وعبدوا سواه واستحلوا حرمة وليه وعادوه لانكاره عليهم دعوة غير الله وعبادة سواه — ويوردون آيات يستدلون بها على شركهم وهى تعج إلى الله من سوء فهمهم وتلعنهم كقولهم (لهم مايشاءون عند ربهم) ومعناها عندهم أن الأولياء يشفعون فى كل من لجأ إليهم واستجارهم ولو كان مشركا عدوا لله ولرسوله وأن لهم دالة على الله بحيث لو طلبوا منه أن يطبق السموات على الأرض لفعل إكراما لهم ولا يخالفهم فى شىء ما ولو كان محالا .

ومعناها الحقيقى عند أهل العلم بالتفسير أن الآية نزلت فى الذين آمنوا وعملوا الصالحات كما قال والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم مايشاءون عند ربهم — أى لهم مايشاءون فى الجنة من نعيمها وليس منه أن يسألوا دخول فلان المشرك الجنة لأجل خاطرهم — وكيف يكون ذلك والله نهى رسوله ﷺ عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وهذا ابن نوح وأبو ابراهيم وامرأة نوح وامرأة لوط وماذكر الله قصصهم فى القرآن الا ليعتبر المتكلون على غير التقوى .

وجملة القول أن الداعى الى الله من أوليائه أعدى عدو عند هؤلاء الجهلة الضالين وليس أكفر منه عندهم وقد رأيت أنا ذلك بنفسى حينما كنت فى رمل الاسكندرية أدعوهم الى الله وفى التلين بلدنا وفى السويس والجيزة

(هل خص الله أولياءه بأضرحة تبنى لهم بعدالموت؟)

اذاعرفت أن لله أولياء وأنهم هم الذين آمنوا وكانوا يتقون وأنه يكرمهم على قدر حبهم له واخلاصهم فى طاعته فاعلم أنه لم يوص الأحياء منهم بتمييز الميتين بشىء من بناء قباب عليهم

أو تشييد أضرحه أو كسوتها واقامة سدنة عليها واسراجها بل لعن فاعلى ذلك على لسان رسول الله ﷺ كما ثبت فى الصحيح (لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج

وعلى هذا فما نراه اليوم فى البلاد الشرقية كمصر والعراق والشام وأمثالها من الأضرحة المقامة والقبب المشيدة بأسماء الصالحين مخالف لدين الله الاسلام على أن أكثر هذه الأضرحه والقبب لم تقم على شيء ولم يثبت عن الرسول ﷺ أنه خص بعض أكابر أصحابه بضريح مشيد وبناء قبة اللهم الا حجرا يضعه على قبر أحدهم يقول اعلم به قبر صاحبي ولا ريب أن أكبر الأولياء وأقربهم الى الله الصحابة والتابعون ولم يرد عنهم أنهم خصوا أحدا منهم بقبة ولا كسوة ضريح واقامة تمثال عليها بل ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ أمر عليا ألا يدع تمثالا الا هدمه ولا قبرا مشرفا الا سواه وما كانت اقامة تماثيل للأموات وبناء قبور لها الا من عمل الجاهلية .

لم يكف المسلمون ـ مسلمي آخر الزمان أن يبنوا على من يعلمون من الميتين مواضع دفنهم حتى صاروا يبنون على الخيالات والمنامات والقباب العالية والأضرحة المكسوة بمطارف الثياب

من الحرير والجوخ وحتى وقفوا لها الأوقاف ووالت الحكومات العوام فيما يهوون من اقامة الموالد والزور حولها ففى مصر مثلا كثير من هذه الاضرحة والقبب : كقبة الحسين رضى الله عنه وكقبة السيدة زينب وجابر بن عبد الله ونحو ذلك وقد أخبر التاريخ أن سيدنا الحسين والسيدة زينب لم يطآ أرض مصر فضلا عن دفنهم فيها وكذلك جابر بن عبد الله وعلماء الازهر يزورون هذه الأضرحة الا قليلا ممن شاء اللهمنهم زيارة وثنية شركية فيقلدهم فى ذلك العوام ولاحول ولاقوة الا بالله ومن أنكر عليهم ذلك كفروه وعادوه أشد العداوة فهم أعداء أولياء الله .

مطالبة هؤلاء العلماء بأدلة شرعية على أعمالهم هذه الباطلة وقيام هذه التماثيل بينهم بغير نكير

نعم نطالب هؤلاء العلماء بدليل شرعى على تخصيص بعض الصالحين باقامة هذه التماثيل باسمائهم وهذه القباب المشيدة المزخرفة عليهم من الكتاب أو السنة وفى أى كتاب من كتب المذاهب الاربعة المتبعة وماهم والله بواجدين

كرامات الأولياء بعد الموت

قدمنا آنفا أن الله يكرم أولياءه فى حياتهم الدنيوية كما أنه يهين أعداءه . ونحدثك الآن عن كراماتهم بعد الموت فاسمع وقلبك شهيد .

ان الله تعالى يكرم أولياءه فى مماتهم ، وفى قبورهم وفى يوم المعاد إلى أن يدخلوا الجنة فتتوالى عليهم هنالك الكرامات التى لم تخطر على قلب بشر ولكن ليس منها أن يشفعوا للمشركين ولا أن يجيبوهم إذا دعوهم .

والدليل على ذلك من القرآن قوله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) أى أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم أولياؤه عز وجل لايكونون كالمجرمين فى الآخرة قال الامام البغوى فى تفسيره نزلت فى نفر من مشركى مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ماتقولون حقا لنفضلن عنكم فى الآخرة كما فضلنا عليكم فى الدنيا ثم قال يعنى أحسبوا أن حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم ساء مايحكمون؛ قال الامام ابن كثير أى ساء ماظنوا بنا وبعدلنا ان نساوى بين الأبرار

والفجار فى الدار الآخرة وفى هذه الدار .

وقال تعالى فيهم عنـد الموت (ان الذين قالوا ربنـا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أوليـاؤكم فى الحيـاة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيهاماتدعون نزلا من غفور رحيم .

قال البغوى تتنزل عليهم الملائكة قال ابن عباس عند الموت وقال قتادة ومقاتل إذا قاموا من قبورهم قال وكيع بن الجراح: البشرى تكون فى ثلاث مواطن عنـد الموت وفى القبر وعند البعث .

وقال الامام ابن كثير وقوله تبارك وتعالى (نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) إى تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كنا أولياءكم أى قرناءكم فى الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله وكذلك نـكون معكم فى الآخرة نؤنس منكم الوحشة فى القبور وعندالنفخة فى الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوز بكم الصراط المستقيم ونوصلكم إلى جنات النعيم (ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم) أى فى الجنة من

جميع ماتختارون مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون — ولكم فيها ماتدعون — أى مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم — نزلا من غفور رحيم — أى ضيافه وعطاء وإنعاما من غفور لذنوبكم رحيم بكم رءوف حيث غفر وستر ورحم ولطف اه

فهذا اكرام الله لعباده عندالموت وبعده لا أنهم يكونون خدامين لمن يدعونهم حاضرين لقضاء حوائجهم كما يزعم الضالون

أما مايستدلون به من المنامات فى مقابلة هذه النصوص القرآنية من أنهم دعوا فلانا فى حاجة فقضيت وأن فلانا اعترض على فلان الولى فجاءه فى المنام ووبخه فهذه المنامات وأمثالها من الخيالات الشيطانية لايثبت بها حكم شرعى ولايتمسك بها إلا ضال غوى ومعلوم أن المنامات ليست وحيا إلا عند الرسل المعصومين أما غيرهم من البشر فلا وعلى هذا اجماع أهل الأصول أن المنامات لايثبت بها حكم شرعى نعم ورد أن الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح من المبشرات يراها أوترى له

وقد أضل الشيطان خلقا كثيراً بهذه الرؤى ولاحول ولا قوة إلا بالله ولولا أن الله أنجانى منها لهلكت بها (من يهد

الله فلا مضل له) والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

إذا تقرر هذا فلا يغرنك كثرة الضالين الهالكين من العلماء أو الجاهلين،ولا تهن إذا أنكرت على عباد القبور وقالوا لك أنت وهابي أو أنت تنكر كرامات الأولياء فأنهم هم أعداء الله وأعداء الأولياء واصبر على أذاهم فأنه لك حسنات وعليهم خزى وحسرات وسيعلمون غدا من الكذاب الأشر ومن له عقبى الدار .

زيارة الأولياء فى الحياة وبعد الممات

أما زيارة أولياء الله فى الحياة الدنيا فهى زيارة الاخوان فى الله لله لا أكثر ولا أقل وأما بعد الموت فهى دعاء لهم من جنس الصلاة على جنائزهم وقد علم النبي ﷺ أمته إذا زاروا القبور أن يقول قائلهم السلام عليكم أهل الديار من المسلمين والمؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون يغفر الله لنا ولكم أو نحو ذلك من الألفاظ الواردة فى الأحاديث

وهل يقرأ لهم قرآن فاتحة أو غيرها

لم يرد فى السنة المطهرة عن رسول الله ﷺ أنه كان يقرأ

للأموات شيئا من القرآن لاعند القبور ولا فى البيوت ولا أمر بذلك ولا فعله أحـد من الصحابة وهم أحرص الناس على الخير لهم ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان .

وقراءة القرآن على القبـور للأموات لو كان لتوفرت الدواعى على نقله ولـكنه مبتدع ابتدعه الناس بعـد القرون الأولى المفضلة،والقرآن إنما نزل ليقرأ على من يمكنهم العمل به قال تعالى لينذر من كان حيا — ولم يقل لينذر من كان ميتا — وقال انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة وقال وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلـكم ترحمون فجعل الرحمة مرجوة فى اتباعه ولا يتبع إلا الأحياء أما الأموات فقد انقطع عملهم إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو لهم

وفى القرآن آيات كثيرة تبين حـكمة نزول القرآن وكلهـا لأجل الاتباع والعمل به فأما هبته للأموات فهو من جنس ابتداعاتهم وافترائهم على الدين

وذلك أن المؤمن يعمل لله وهو خائف ألا يقبل منه فكيف يهب ثواب ما قرأ وهو لا يعلم أقبل منه أم لا فهو انما يهب

ثوابا لايملكه بل أكثر الذين يقرءون اليوم لاثواب لهم عند الله لأنهم يقرءونه لما يأخذونه من الناس من الثواب التافه فأى ثواب لهم بعد ذلك حتى يهبوه .

ثم نطالبهم بالدليل فنقول هاتوا برهانكم على صحة قراءة القرآن للأموات وهبة ثوابه لهم . هاتوا من كتاب أوسنة أو اجماع ، وليس لهم ولا نصف دليل .

نعم قد يحتجون بحديث رواه ابن حبان وهو اقرءوا على موتاكم يس وهذا الحديث على ضعفه معناه غير ماذهبوا إليه وإنما معناه مافسره به ابن حبان نفسه وذلك أن تقرأ السورة على المحتضر ليتذكر ماعساه ينساه وقت الموت فان للموت سكرات وهو من جنس تلقين المحتضر كلمة التوحيد وتذكيره بالشهادتين لا أكثر ولا أقل .

فانظر إلى مقارى مصر عندالتماثيل ترى المشايخ جالسين يقرأ كل واحد منهم جزءا من القرآن فاذا وصل إلى نهاية المقرا ختموا معه بصوت واحد ، وقرأ الآخر وهلم جرا وتراهم عكوفا على الصنم المسمى السيد فلان والله قد مقتهم وغضب عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وكل حرف من القرآن يلعنهم

ويفعلون ذلك لقاء بضعة أقراص من الخبز أو بضعة عشر قرصا من الأوقاف فليخبرونا من فعل هذا من الصحابة أو التابعين أو الأئمة المشهورين ان القرآن كلام الله لايقرأ إلا لله لا بأجر من الناس . والقرآن قانون سماوى أنزل للعمل به

أما هؤلاء فكأنهم الذين قال الرسول (ص) فيهم يتعجلون أجورهم ولايتأجلونها رواه الامام أحمد وروى عن جابر أيضا قال دخل رسول الله ﷺ المسجد فاذا قوم يقرءون القرآن قال اقرأوا القرآن وابتغوا به الله عز وجل من قبل أن يأتي قوم يقيمونه اقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه — أى يتعجلون أخذ الأجر عليه من الناس ولا يتأجلونه أى لايؤجلون أخذ الثواب من الله تعالى يوم القيامة. وهذه المقارى يختار لها القراء المجودون الحافظون وقد يكون شيخهم من الحائزين شهادة العالمية من الأزهر فلو رأيتهم وهم جلوس عند الصنم المدعو وليا عندهم وهم يرتلون القرآن حوله لرأيت شيئا نكرا ولكن من ينكر والجهل عم والشرك أصبح عندهم توحيدا والبدعة سنة والسنة بدعة والتوحيد شركا ولا حول ولا قوة إلا بالله. اما قرءوا قوله تعالى — قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين

ان هو إلا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين. وعن أبي سعيد الخدرى يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول يكون خلف من بعد الستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا .ثم يكون خلف يقرءون القرآن لايعدو تراقيهم. ويقرأ القرآن ثلاثة مؤمن ومنافق وفاجر قال بشير فقلت للوليد ماهؤلاء الثلاثة قال المنافق كافر به والفاجر يتأكل به والمؤمن يؤمن به .

وانك لتعجب ممن يتقدمون للاختبار فى الأزهر لأخذ الشهادة العالمية اذ يذهبون لضريح الامام الشافعى يستعينون به ويستنجدونه ويضرعون اليه ليحضرهم وقت الاختبار وينجحهم وكذلك يطوفون على كل ضريح يستنجدون به فاذا انكرت عليهم ذلك قالوا أما للأولياء كرامات؟أأنت ممن ينكر الكرامات ، ولاصلة بين ثبوت الكرامات لأولياء الله وبين مايفعلونه من عبادتهم ويسمونها توسلا واستشفاعا وانما التوسل والاستشفاع بالصالحين يكون فى حياتهم بدعائهم كما فى الاستسقاء

التوسل بالأولياء الصالحين

لقد فتن اكثر الأمة فى هـذا الزمن كما فتن من قبلهم من

الأمم بالاولياء كأمة نوح وغيرها بود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وقد ذكر الله فى سورة نوح مافيه عبرة .قال تعالى (ومكروا مكرا كبارا وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولاسواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد اضلوا كثيرا ـ قال الامام ابن كثير فى تفسيره عند هذه الآية :

قال البخارى ـ وساق سنده إلى ابن عباس قال : صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد ؛ أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى كلاع . وهى أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت ، وكذلك روى عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن اسحق نحو هذا ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس كانت هذه أصنام تعبد فى زمن نوح

وقال ابن جرير بسنده إلى محمد بن قيس قال : يغوث ويعوق

ونسرا كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا الى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دب اليهم ابليس فقال : انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم . اه

فدعاء الميتين وسؤالهم قضاء الحوائج وتفريج الكربات والنذر لهم والاستغاثة بهم والذبح لهم هو عبادتهم ، والعبادة حق الله وفعلها لغيره شرك أكبر لا يغفره الله لمن مات عليه والعياذ بالله ، كما قال جل وعلا (ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيما) وكما قال (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) وقد قال الله فيه (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) .

وهو الذى قال فيه ﷺ حين سئل : أى الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك . رواه البخارى وغيره ، وهو الذى قال الله تعالى فيه (إن الشرك لظلم عظيم) ،(ومن

يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)

واتخاذ صور للصالحين غير جائز فى الشرع الشريف والحنيفية السمحاء ، لأن هذه الصور كانت ولا تزال ذريعة لعبادة غير الله ، وهذه الصور هن لأصنام بعينها ، وان سميت بأسماء حسنة وقد أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بهدمها وطمسها ولا يكون هدم تمثال الصالح وطمس صورته اهانة له كما يفهم الجهلة عباد الصور ، إذ يجعلون حكم الصورة حكم المصنوعة باسمه حياً ، وسبحان من هدى قوماً وأضل آخرين ، فلم تغن عنهم عقولهم وأسماعهم وأبصارهم وذكاؤهم وعلومهم .

والمقصود ما يسمونه فى هذا الزمن التوسل بالأولياء من طواف حول أضرحتهم أو تماثيلهم ودعائهم واستلام أعمدتهم وأركانهم وتقبيلهم والسجود على أعتابهم ، كل ذلك عبادة لهم من دون الله مهما قيل فيها ، ومهما حليت بأسماء حسنة

فليتب إلى الله من قريب من يريد النجاة من النار والفوز بالجنة ، هلموا أيها الأحباب الى الولى الحميد ، إلى ولى الأولياء . إلى بارىء النسم ، إلى أرحم الراحمين ، إلى رب السموات

والأرضين ، إلى من يقول ادعونى أستجب لكم ، إلى من يقول (وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)

إلى من يريد التوسل الحق بالاولياء

إن كنت تريد ولابد توسلا بالاولياء الصالحين فاطلب من رجل صالح حى منهم غير ميت أن يدعو لك ، وقد قدمنا لك أوصاف الصالحين ، وهم الذين آمنوا وكانوا يتقون ، واحذر أن يخدعك ابليس اللعين وأولياؤه الدجالون المفسدون فيوقعوك فى فخاخهم إذ يقولون لك : إذا أجزتم طلب الدعاء من الاولياء فنحن نطلب من الاولياء أن يدعو لنا الله وهم أحياء ، كما قال الله فى الشهداء (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء) ويقفون هنا ولا يقولون (عند ربهم) فان المقرر فى الدين الاسلامى كتابه وسنته وهدى رسوله أن الميتين لا يطلب منهم شىء وان كانوا (أحياء عند ربهم) وانما يطلب من الاحياء عندنا مايقدرون عليه ، والمقصود بالاحياء أحياء الدنيا لا الاحياء عند ربهم ، ولم يجىء عن رسول الله (ص) ولا الصحابة ولا واحد منهم أنهم دعوا ميتاً من الشهداء الاحياء عند ربهم قط ولا يستطيع عباد القبور أن يأتوا ببرهان على ذلك ، ويدلك

على ذلك أن عمر رضى الله عنه لما وقع الجدب فى زمانه استسقى بالعباس ، وما ذاك إلا لانه حى يمكنه أن يدعو ، والا فالنبي (ص) كان أحق وأولى لانه أفضل من العباس وغيره حياً وميتاً ولكن الصحابة فهموا الفرق بين الحياة والموت ، وغبي المشركون عنها وأبوا أن يفهموها ، بل من غبائهم وضلالهم يوردون حديث عمر وهو فى البخارى على خصمهم وهو حجة عليهم فسبحان من أضلهم .

تقول لهم لماذا ترك عمر رضى الله عنه التوسل بالرسول فى الاستسقاء وتوسل بالعباس والرسول أفضل ؟ فيقولون لك انما فعل ذلك للارشاد ولبيان الجواز ، وكذبوا فان عمر ليس برسول حتى يشرع للناس ويبين لهم مايجوز ومالا يجوز ، وقد قال تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » فلم يمت رسول الله (ص) إلا بعد ما أكمل الله دينه على لسانه — ولو ذهب عمر يستسقى برسول الله بعد موته لاعترضته الصحابة جميعاً ، ولو كان يصح طلب الدعاء من الرسول بعد الموت لقصده الصحابة كل وقت ولنقل الينا كما نقل طلبهم الدعاء منه عليه الصلاة والسلام وهو

حى فى أحاديث كثيرة ، والحمد لله الذى ألهمنا رشدنا وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، حمداً طيباً مباركاً فيه .

هل يعلم الخاتمة أحد غير الله ؟

قد أخبر النبي ﷺ بأن فلاناً هذا من أهل الجنة ، وبشر بعضهم بالجنة ونص على كثيرين بأنهم من أهل الجنة ، كأهل بدر وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم ، والرسول لا ينطق عن الهوى ، ولا يقول بالحدس والتخمين فى المغيبات ، بل لابد أنه أخبر بما أخبر به عن وحى

وأما غيره فلا يعلم يقيناً عن نفسه أو غيره عن الخاتمة شيئاً فقد قال تعالى (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت)

وقد جاء فى البخارى أن امرأة انصارية اسمها أم العلاء بايعت النبي ﷺ أخبرت خارجة بن زيد أنه اقتسم المهاجرون قرعة فطار لنا عثمان بن مظعون (أى صار من نصيبنا) فأنزلناه فى أبياتنا فوجع وجعه الذى توفى فيه ، فلما توفى وغسل وكفن فى أثوابه دخل رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السائب

فشهادتى عليك لقد أكرمك الله ؛ فقال النبي ﷺ وما يدريك أن الله أكرمه ؟ فقلت بأبى أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله؟ فقال : أما هو فقد جاءه اليقين والله انى لارجوله الخير ، والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يفعل بى ـ قالت فو الله لا أزكى أحداً بعده أبداً ـ وفى رواية ما يفعل به .

والعبرة من هذا الحديث والمقصود منه أن الخاتمة مجهولة وهذا عثمان بن مظعون من خيار المهاجرين تشهدله امرأة بايعت النبي عليه الصلاة والسلام من خيرة الانصار شهادتها بألوف الالوف من أهل الارض اليوم فيقول لها الرسول ومايدريك أن الله أكرمه ؛ ويقسم عليه الصلاة والسلام أنه ـ وهو رسول الله ـ أى ومقامه مقامه مايدرى ما يفعل به ، وغايته أنه يرجو لعثمان الخير لا أكثر ولا أقل .

فقل لى بربك إذا كان عثمان بن مظعون يقال فيه ماسمعت فهل يجوز أن نقول نحن شيئاً فى الذين لم نعرف لهم سابقة فى جهاد أو علم أو عمل صالح ، ولا علم لنا بخاتمتهم كيف كانت ، وهل هم فى جنة أو نار ، وكثير منهم لا يعرف له قبر ، وربما بنى له عدة قبور كما يفعله أهل هذا الزمان ، ثم من هو البدوى

الذى يعبده كثير من أهل مصر فى جانب عثمان بن مظعون ومن الدسوقى ومن فلان وفلان من الاسماء التى سموها وبنوا عليها قببا بالمنامات والخيالات الشيطانية حتى ملئت الاقطار الاسلامية بها وبالاوثان وعادت الجاهلية كما كانت بل شرا مما كانت ولاحول ولاقوة إلا بالله .

وكم أنفقت الأوقاف فى بناء هذه الأصنام ومساجدها حسيبهم الله ولوأنهم بنوا بها سفنا حربية أوأنفقوها فى تربية أبناء الأمة ولكن ضلوا ضلالا بعيدا ومنذ استولت الافرنج على البلاد زادت الطين بلة والأمة ذلة وأخلوا المدارس من الدين والعلم الصحيح وفتحوا للناس أبواب الشر والجهالة على مصراعيها وحموا الكفر والفسوق أحسن حماية فأذلوا الأبرار وأعزوا الفجار ولاحول ولاقوة إلا بالله وان ربك لبالمرصاد وسوف يخزيهم الله ويبعث عليهم من يدمرهم ويذلهم وما هى إلا فتنة يهودية سيطفئها الله قريبا .

بم يتقرب المتقربون إلى الله تعالى ؟

اعلم وفقنى الله وإياك أن الله تعالى ما أنزل الكتب ولا أرسل الرسل إلا ليعبد وحده والا يعبد إلا بما شرع فهذان

أصلان يجب على كل مسلم أن يعرفهما .

(ان يعبد الله وحده ، وأن يعبد بماشرع)

وقد شرع الصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها من أعمال البر .

وجاء فى حديث البخارى الذى تقدم آنفا من عادى لى وليا الخ قوله وماتقرب إلىَّ عبدى بأفضل مما افترضته عليه — فهذا يدل على أن أفضل القرب ما افترضه الله على عباده وما أمرهم به فى كتابه وعلى لسان رسوله ولانزاع فى ذلك فهو العليم الحكيم ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير خلق الخلق وعلم مايشفيهم من أدوائهم الجسمية والروحية وما كان الله ليخلق الجن والانس ليعبدوه ويتركهم سدى بدون أن يأمرهم بما يحب وينهاهم عما يكره .

ولو تأملت القرآن والسنة لوجدت القربات كلها أعمالا شخصية لا يقوم فيها أحد مقام آخر لاسيما الصلاة إلا فى مواضع معينة كالحج والصوم مثلا ولوجدت أيضا ان الله تعالى علق دخول الجنة بالأعمال كقوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون

الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون — من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا .

بهذا امتاز دين الاسلام عن دين المشركين الذى هو عبارة عن التقرب بالاوثان والاصنام فمن وفقه الله وأراد به خيرا فهم وفقه ومن لم يوفقه بقى حائرا فى الظلمات والعياذ بالله وفى الحديث ومايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ـ الحديث والنوافل هى من جنس الفرائض فمن تقرب إلى الله بشىء غير الفرائض والنوافل فقد ضل سعيه وبارت تجارته ولا حول ولا قوة إلا بالله .

حياة الأنبياء والأولياء فى قبورهم
ومعنى الحياة والموت

خلق الله الانسان مركبا من جسم حيوانى وروح وميزه بالعقل والنطق ، وقال جل شأنه (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور)

فمادامت هذه الروح فى الجسم يسمى حيا وإذا خرجت منه وبقى الجسم ساكنا لا يتحرك ولا ينطق ، وانقطع نفسه

ووقف قلبه سمي ميتا وانتقل من عالم الأحياء إلى عالم الأموات حيث لا يعلم حاله بعد الموت إلا الله وحده . والفرق بين الحى والميت فى الانسان وسائر الحيوان بل وفى النبات لا يمترى فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان .

حكم الميت والحى

أما حكم الانسان الحى فمعلوم أنه مكلف بالشرع بعد بلوغه أى مكلف بأوامره ونواهيه فاذا مات وانتقل من هـذه الدار إلى الدار الآخرة تبدلت الأحكام التى كانت تلزم وهو حى أما من جهة التكاليف الشرعية فقـد رفعت عنه ودليل ذلك قول الله تعالى — واعبد ربك حتى يأتيك اليقين — ولا يمترى أحد أن اليقين هو الموت فلا صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا حج ولا غير ذلك على ميت قط وليا كان أو نبيا

ومن أحكام الميت أنه يغسل ويكفن ويصلى عليـه وتقسم تركته وتنكح نساؤه بعد اعتدادهن إما بوضع أو بأربعة أشهر وعشرا إلا نبينا عليه الصلاة والسلام فقد حرم الله نكاح نسائه من بعده وفى الميراث أيضا لقوله عليه الصلاة والسـلام نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة .

وقد قال الله تعـالى (إنك ميت وانهم ميتون) وقال وما محمد إلا رسول قد خلت من قبـله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . الآية

ولما دهش بعض الناس لموت رسول الله ﷺ وقف أبو بكر رضى الله عنه وخطب الناس فقال بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد فمن كان يعبد محمداً فان محمدا قد مات . ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت وقرأ الآية (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل)الآية

وقد فرق الله تعالى بين الحيـاة والموت فى غير ما آية من كتابه منها قوله تعالى : ومايستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء ،وما أنت بمسمع من فى القبور) وقال تعالى (وتوكل على الحى الذى لا يموت وقال جل من قائل كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . وقال كل شىء هالك إلا وجهه .

وإذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث:صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له — ولاريب أن الثـلاثة من عمله تبقى بعد موته والواقع يصدق ذلك .

إذا تقرر هذا وفهمته فاسمع مايأتى :

شبهة عباد القبور وعلمائهم

يضلل الناس بعض المتعالمين بقولهم أن الأنبياء والأولياء أحياء فى قبورهم حياة حقيقية باجسادهم يصلون ويتطهرون ويأتونك بأحاديث أكثرها ضعيف أو موضوع أو صحيح ولكن له معنى لايخالف القرآن وسائر الأحاديث الصحيحة وهم يفهمون بالعكس لأن عقولهم منكوسة وبصائرهم بالشرك مطموسة فمن هذه الأحاديث الضعيفة التى لايجوز الاحتجاج بها قولهم حياتى خير لكم ومماتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم تعرض علىّ أعمالكم فان وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت غير ذلك استغفرت لكم . ويوردون مثل هذه الأحاديث التى يعلم بطلانها أقل عاقل فضلا عن طالب علم أو لهمعرفة بفن الحديث وليس المقصود الآن التكلم على الأحاديث ولكنانقول كلمة موجزة فى الحياة

حياة الأولياء والأنبياء بعد الموت

قصارى مايمكن أن يقول العالم الراسخ فى هذه الحياة انها حياة برزخية لايعلم إلا الله كنهها . ولذا قال فى الشهداء —

ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

ولذلك قيد الله هذه الحياة بقوله (بل أحياء عند ربهم) والحياة التى عند الله لا عندنا يعلمها الله ، أما عندنا نحن فقد ماتوا ونكحت نساؤهم وقسمت بين الوراث تركاتهم وليس لهم عندنا إلا الدعاء لهم .

ولا ريب أن الأنبياء أعلى حياة عند ربهم من الشهداء وسائر الأولياء .

أما مااستدلوا به على قيام موسى فى قبره ورؤية النبى ﷺ بعض الرسل ليلة أسرى به ، وصلاته بهم اماماً فيفسر على معنيين فان قلنا أن الاسراء كانت بالروح فقط ، كما قاله بعض العلماء سلفاً وخلفاً فالأمر واضح وتكون الرؤية منامية ، وإن كانت بجسده وروحه كما قاله الأكثرون ، فيكون النبى ﷺ قد رآهم فى عالم المثال .

(مقصود عباد القبور من اثبات حياة الأنبياء والأولياء)

مقصودهم من ذلك تصحيح عبادتهم لهم ومخاطبتهم ، فان

الموحدين كلما عيروهم بعبادة الموتى قالوا أنهم أحياء وأجلبوا بخيلهم ورجلهم وأتوا بالمتشابهات والأحاديث الضعيفة والموضوعة ليقيموا بها دليلا على صحة شركهم ، والقرآن يدعوهم فلا يسمعون صم بكم عمى فهم لا يرجعون .

واعلم هداك الله أنه لاحجة فى حياة الأنبياء والاولياء لعباد القبور ،وقياس حياة الاموات على الاحياء قياس مع الفارق وهو باطل وكذلك قياس فى مقابلة النصوص وهو فاسد الاعتبار وقد قال الامام الشافعى رضى الله عنه مامعناه أن القياس عندنا كالميتة للمضطر لانستعمله إلا حيث أعوزنا النص ، ومع ذلك لم يكونوا يستعملون القياس فى العبادات – والتوسل أمر توقيفى لامساغ للعقل فيه ولاللرأى ؛ فتأمل هذه الجملة تنفعك فى مقامات حرجة

ومما تذرعوا به لشركهم أو توسلهم الشركى الجاه والحق

ألـف حمار من حمر عُباد القبور وأتهم كتاباً استنهق فيه أربعاً وستين حماراً مثله أو أبلد منه فنهقوا نهيقاً رقص له الشيطان رقصة طرب ، وظنوا أنهم بذلك يبطلون حقاً ويثبتون

دعوة التوحيدالتى تولى الله حفظها الى قيام الساعة ، وقدأخبر المعصوم ﷺ ببقاء طائفة عليها إلى قيام الساعة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم .

وملخص نهيق هؤلاء الحمر خيبهم الله تعالى أن التوسل بالجاه والحق جائز بل لازم واجب ، وقد اجتهد حمارهم الكبير فى اثبات ذلك الجاه بما استطاع ، كأن أحدا ينكر ما للأنبياء من وجاهة وما للأولياء من زلفى ؛ وإنما أراد كثرة الكلام والثرثرة ليقال (يا له من حمار) وقد قالوا .

والجاه ثابت لكل نبي وولى ، ولكن لايجوز لمؤمن أن يترك أسماء الله الحسنى ويخالف أمره تعالى الى اتباع الهوى والدعاء بجاه فلان وحق فلان ، قال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وهذه سنة الرسول ﷺ بين أيدينافمن شاءفليقرأ باب الادعية فى البخارى ومسلم والسنن الأربع ؛ وما شاءبعد ذلك من مسند فان وجد فيه أن الرسول (ص) علم أمته الدعاء بجاهه أو جاه أحد سواه من الأنبياء فلهم الحق ؛ وإلا فانهم متبعون أهواءهم (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين)

تعليم النبي ﷺ أمته الدعاء والتوسل

لقد علم النبي ﷺ أمته الدعاء وآدابه وعلمهم أنواع التوسل الصحيح الى ربهم ونهاهم عن التوسلات الشركية وحمى حمى التوحيد بكل ما أوتى من بيان وسنان فلم يكن منها ولله الحمد التوسل بجاه أحد ولا حقه على أنه لا حق لأحد على الله إلا ماجعله الله على نفسه من دخول الجنة لمن لايشرك به شيئا كما جاء فى حديث أبي ذر اذ كان مع النبي ﷺ فقال له أتدرى ماحق الله على عباده قال أبو ذر : الله ورسوله أعلم قال ذلك ثلاث مرات ثم قال حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحقهم عليه ألا يعذبهم اذا فعلوا ذلك وهذا فى الصحيح

ويوجد حديث ضعيف ورد فى اليوم والليلة وفيه

وأسألك بحق السائلين عليك ـ فظن الجهلة أن للناس حقا على الله أو انه يصح الاقسام على الله كما ظن آخرون من الأغبياء ، ونحن لو سلمنا لهم صحة الحديث لما عدا معنى بحق السائلين عليك أى بالحق الذى جعلته للسائلين عليك وهو الاجابة أى يستجيب لمن سأله كما فى قوله تعالى (ويستجيب

الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله) لا أكثر ولا أقل . .

﴿ حكاية الحمار المؤلف ﴾

يقال أنه كان فى مصر حمار من حمير الشيخ السبكى ألف كتاباً فى الخرافات .

وقد ملأ هـذا الحمار كتابه ترهات وخرافات وموه على الناس تمويهات سيرى عاقبتها يوم يؤخذ بالنواصى والاقدام يوم يكون اماماً لمن أضلهم عن سبيله وما له من ولى ولا نصير

« نبذة من تاريخه »

كان هذا الحمار جحشاً بسيطا فى زريبة السبكى يقلده فى كل ما يقول ؛ فقابله الشيطان يوما وقال له : انك إذا بقيت مع السبكى تدعو إلى السنه فى اللحية والعذبة فستظل جحشا أبداً أما ان طاوعتنى فاني أعدك أن تكون حماراً كبيراً يأتم بك الحمير أو أكثرهم ويكونون لك أولياء وأنصاراً ، قال له بماذا تعدنى ؟ قال تترك السبكى وتدخل الزريبة الكبيرة التى يتخرج منها كبار القائدين للشرك وعبادة القبور ، وتأخذ شهادة عالمية بها تنال الشهرة والمستقبل العظيم . فقال حبا وكرامة .

ومنـذ ذلك الحين رفس الشيخ السبكى وطاوع الشيطان حتى نال ما كان يصبو اليه وصار عدوا للتوحيد وأهله ووليا للشيطان وحزبه ومن يضلل الله فما له من هاد .

أسئلة مفحمة من أوليـاء الله

إلى عباد القبور وعلمائهم

١ — انكم لاتمارون ياعبدة القبور فى أن الله أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين وأقرب الى الناس من حبل الوريد وأنه سميع الدعاء وأنه على كل شىء قدير. فلماذا إذن تدعون غيره من الأموات وهو حى سميع ؟ والأموات لايسمعون ولايعقلون

٢ — أخبرونا مَن من الصحابة أو التـابعين توسل بميت وإن كنتم ناقلين فالصحة أومدعين فالدليل

٣ — فى أى دين من دين الرسل من نوح الى خاتمهم محمد ﷺ تجدون التوسل بالأموات وماهو إلا دين المشركين من عهد نوح .

٤ — أوجدونا آية أو حديثا صحيحا ينص على التوسل بالأموات وعلى طلب الحاجات منهم

٥ — من الذى شرع لكم بناء القبب وعمل التماثيل والعكوف

عليها ليلا ونهارا ودعاءها والنذر لها واخبرونا عن قول النبي ﷺ لعلى لاتدع تمثالا إلا طمسته ولاقبرا مشرفا إلا سويته

الأولياء وحبهم لله تعالى وذكرهم له

أولياء الله تعالى كما أنهم يتقربون اليه جل شأنه بما يحب من الفرائض والنوافل يذكرون الله كثيرا ويحبونه حبا جما ولا يلتفتون عنه الى الأغيار

قال تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقال تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا)

ونحن ننقل لك شيئا هنا يريك حب أولياء الله لله وذكرهم له وشدة تعلقهم به واقبالهم عليه لتعلم الفرق بين أهل الله وأوليائه وعبدة غيره من أولياء الشيطان عباد القبور والأوثان لعنهم الله .

عن أبي نعيم فى الحلية جزء ٣ ص ١٠٨

الحجاج بن الفراصفة قال أبو نعيم بسنده إلى سفيان قال كتب الى الحجاج بن فراصفة قال بديل (من عرف ربه أحبه ؛ ومن أحبه ترك الدنيا وزهد فيها .. والمؤمن لايلهو حتي يغفل وان تفكر حزن

وكتب أبو الأبيض الى بعض اخوانه وكان عابدا رحمه الله ص ١١١

أما بعد فانك لم تكلف من الدنيا إلا نفسا واحدة فان أنت أصلحتها لم يضرك افساد من فسد بصلاحها وإن أنت أفسدتها لم ينفعك اصلاح من صلح بفسادها واعلم أنك لم تسلم من الدنيا حتى لاتبالى من أكلها من أحمر أوأسود

داود الطائى كان يقول إذا جن الليل عطل همك علىّ الهموم وحالف بينى وبين السهاد ؛وشوقى إلى النظر اليك أوثقنى وحال بينى وبين اللذات فأنا فى سجنك أيها الكريم مطلوب — قيل لمحمد بن نصر كأنك تكره أن تزار فقال نعم فقيل له ألا تستوحش قال :كيف استوحش وهو يقول أنا جليس من ذكرنى .وقيل لمالك بن مغول أما تستوحش وحدك فقال ما كنت أرى أن أحدا يستوحش مع الله عز وجل

وقال مسلمة العابد ماوجد المطيعون لذة فى الدنيا أحلى من الخلوة بمناجاة موجدهم ولا أحسب لهم فى الآخرة من الثواب اكبر فى صدورهم وألذ فى قلوبهم من النظر اليه ولولا الجماعة ماخرجت من بيتي حتي أموت .

قلت وهذا كله من حبهم لله رضى الله عنهم وقال بعضهم من مشطور الرمل .

أوحشتني خلواتى بك من كل أنيس
وتفردت فعاينتـــك بالغيب جليسى
ودعانى الوجد والحب الى المعنى النفيس
فبدا لى أن مهر الحب أنفاس النفوس

ومن كلام بعض المحبين قال عبد الله بن المبارك من أعطى شيئا من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع ، وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام

ياداود انى حرمت على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيرى فيها — وقال ابن عطاء المحبة اقامة العتاب على الدوام — قال أبو العباس خادم الفضيل بن عياض احتبس بول الفضيل يوما فرفع يديه الى السماء وقال اللهم بحبى لك الا أطلقته عنى قال فما برحنا حتى شفى — وقالت رابعة فى مناجاتها الهى أتحرق بالنار قلبا يحبك فهتف بها هاتف ما كنا نفعل هكذا فلا تظنى بنا ظن السوء — اه من الرسالة القشيريه

فأولياء الله أحبابه وأنصار دينه لاحاجة لهم بواسطة تكون

بينهم وبين ربهم الذى يحبهم ويحبونه . هم المخلصون الموحدون المشغولون بذكره لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار

وأما الذين جعلوا بينهم وبين الله وسائط يدعونهم وينذرون لهم ويقصدونهم ويزعمون أنهم أحياء لم يموتوا فهم قوم انصرفوا عن الله واستوحشوا منه بذنوبهم وعمى قلوبهم فصرفهم الله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين

فصل ينبغى التأمل فيه جيدا

جاء أبناء الشيطان يوما إلى أبيهم يبكون فقال مايبكيكم يا أولادى قالوا يا أبانا إن بنى آدم أهلكونا قال أبوهم الخبيث وكيف كان ذلك قالوا كلما أوقعنا أحدا منهم فى معصية علم أنها معصية فتاب منها واستغفر فغفر الله له وتاب عليه وهكذا دواليك حتى أتعبونا قال أبوهم ألا أدلكم على شىء إذا أوقعتموهم فيه لايتوبون منه أبدا قالوا بلى

قال عليكم بإيقاعهم فى الشرك فإنهم إذا وقعوا فيه لم ينفعهم معه طاعة صلاة ولاصيام ولازكاة ولاحج ألا تسمعون لقول

الله تعالى لرسوله محمد (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) قالوا هذا صحيح ولكن كيف إيقاعهم فى الشرك وهم من الشرك فروا ؟ قال أوقعوهم فيه بالحيلة قالوا فما الحيلة قال سموه لهم بأسماء دينية مشوقة معقولة فى ظاهر الأمر قولوا لهم مثلا انكم مذنبون وإذا دعوتم الله تعالى لايقبل منكم لأنه قال إنما يتقبل الله من المتقين وهذه طبعا كما تعلمون مغالطة لايعرفها الا الراسخون فى العلم منهم وهم أقل من القليل لاسيما فى هذا الزمان فاذا مالوا الى كلامكم وأنصتوا اليكم وأقبلوا عليكم فقولوا لهم توسلوا بالصالحين المقربين فانه يحبهم ولايرد لهم شفاعة فادعوهم وتقربوا بهم تقض حوائجكم فاذا انصرفوا عن الله فقد كفيتم وماهم براجعين عن هذا إلا من شاء الله وماهم بتائبين فذهبوا وسموا الشركيات بتوسل وشفاعة ونحو ذلك ولونوا الشرك بأسماء حسنة دينية فخدع بهم بنو آدم كما ترى حتى إذا جاءهم عالم وقال لهم ياقوم ان ما أنتم عليه من هذه التوسلات هو الشرك بعينه وانما التوسل المشروع هو الايمان والعمل الصالح لاغير ثاروا فى وجهه وكفروه وآذوه بما قدروا عليه وإذا عجزت شياطين الجن هرعت إلى أوليائهم من الانس

فشكوا لعلمائهم فقالوا لهم أبشروا وقاموا فألفوا تآليف ينبزون فيها الموحدين بألقاب السوء ويأتون بالشبهات التى تقرهم على الشرك وتزيدهم ضلالا فيه .

ولنذكر طرفا من خوارق ماوقع للصحابة رضى الله عنهم وماوقع لغيرهم من التابعين وبالله التوفيق

قال البخارى رحمه الله تعالى باب منقبة أسيد بن حضير وعباد ابن بشر رضى الله عنهما وساق سنده الى أنس رضى الله عنه أن رجلين خرجا من عند النبى ﷺ فى ليلة مظلمة واذا نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما وفى لفظ آخر عن أنس قال كان أسيد بن حضير وعباد بن بشر عند النبى ﷺ

فهذا النور الذى أضاء لهما من خوارق العادات ثم تفرقه بتفرقهما كذلك وهو اكرام من الله لهما ولم يكن ذلك بأيديهما ولا بحولهما وقوتهما

كرامة أخرى : عن عائشة رضى الله عنها قالت اسلمت امرأة سوداء لبعض العرب وكان لها حفش فى المسجد قالت فكانت تأتينا فتحدث عندنا فاذا فرغت من حديثها قالت

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا ألا انه من بلدة الكفر أنجانى

فلما اكثرت قالت لها عائشــة ومايوم الوشاح قالت خرجت جويرة لبعض أهلي وعليها وشاح من أدم فسقط منها فانحطت عليه الحديا وهي تحسبه لحما فأخذته ، فاتهموني به فعذبوني حتى بلغ من أمري أنهم طلبوه في قُبلي، فبينا هم حولي وأنا في كربي إذ إقبلت الحديا حتى وازت رءوسنا ثم ألقته ، فأخذوه فقلت لهم هذا الذي اتهمتموني به وأنا منه بريئة .قلت انه من تعاجيب ربنا حقــا . وانظر اكرام الله لهذه المرأة المسكينة ورحمة الله لها حيث عذبوها وهي بريئة وقد ساق لهـــا الحديا حتى ألقت الوشاح عليهم

كرامة عظيمة ولكنها ليست من جنس الخوارق
التي يهيم بها الجهلة

ذكر البخاري رحمه الله في باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه وساق سنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال النبي (ص) لأبي ان الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا قال وسماني قال نعم فبكى — قلت تأمل كيف معرفة الصحابة بمواقع الكرامات ومقدارها فأي كرامة أعظم من هــذه الكرامة التي أبكت أبيا بل هي كرامات متتابعة أولها الهداية

للاسلام الثانية صحبة النبي (ص) الثالثة ايتاؤه القرآن الرابعة حسن تلاوته الخامسة أمر الله تعالى رسوله بقراءته عن أبي هذه هي الكرامات لاقعبان من لبن

كرامات نطق بها القرآن

من الكرامات التي نطق بها القرآن قصة أهل الكهف وهي قصة عجيبة في بابها وتعد من خوارق العادات ولذا قال تعالى — أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا — قال البغوي في تفسيره أظننت يامحمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي هم عجب من آياتنا وملخص قصتهم أنهم فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى وأنهم كانوا في قوم مشركين فلما هداهم الله وخالفوا ما كان عليه ملكهم دقيانوس وقومهم وظهر أمرهم وأوذوا في سبيل الله وعزم الملك على قتلهم فروا هاربين قائلين ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها ،لقد قلنا اذن شططا

فانظر كيف أكرمهم الله تعالى بانجائهم من هذا الملك الجبار بعد اكرامهم بالهداية اليه وإلهامهم معرفته جل وعلا ثم إيوائهم إلى الكهف واماتتهم مدة عشرات من السنين حتى

ذهب ذلك الملك الظالم واحياءهم بعد ذلك وا كرام الله لهم بكرامات لا تحصى ـ ومن يشاء التفصيل وسرد القصة بتمامها فليقرأها بعد فى كتاب الله أولا وليتدبر لطف الله بهم واكرامه إياهم ثم ليقرأ ما ذكره عنهم أصحاب التفسير كالامام ابن كثير والبغوى وابن جرير وفى القرآن كرامات كثيرة لأوليائه وأحبابه الذين جاهدوا فيه واتبعوا رسله وذلك كقصة مؤمن آل فرعون التى يقول الله فى آخرها بعد مادعاهم إلى الله (وأفوض أمرى إلى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب) وقصة الرجل الذى ذكره الله فى سورة يس حيث يقول وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إنى إذن لفى ضلال مبين انى آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين — فتأمل هذه الكرامات أولا توفيقه للدعوة إلى الله تعالى وموعظة الضالين واعلانه التوحيد

فيهم بغير جبن وهذا مقام لايقـدر عليه الا من اكرمهم الله بالثبات — وقد قال تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة — وقال ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ـ واكرامه أخيرا بدخول الجنة وغفران الله له وجعله من المكرمين

فأين هؤلاء الذين أكرمهم الله بتوحيده والتفانى فى حبه ودعوة الناس إليه وصبرهم على أذاهم فيه ممن يدعون الناس إلى عبادة الأوثان ودعائها من دون الله كمصطفى الحمامى ويوسف الدجوى وسائر الداعين إلى عبادة الاصنام فى الشرق والغرب قاتلهم الله أني يؤفكون

كرامة أخرى

ذكر البخارى فى باب غزوة سيف البحر مايأتى قال حدثنا اسماعيل وساق سنده إلى جابر بن عبد الله انه قال بعث رسول الله ﷺ بعثا قبل الساحل وأمر عليهم أباعبيدة بن الجراح وهم ثلثمائه فخرجنا وكنا ببعض الطريق ففنى الزاد فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع فكان مزودى تمر فكان يقوتنا كل يوم قليل قليل حتى فنى فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة فقلت ماتغنى

عنكم ثمرة ، فقال لقد وجدنا فقدها حين فنيت ، ثم انتهينا إلى البحر فاذا حُوت مثل الظرب (الجبيل) فأكل منها القوم ثمان عشرة ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ، ثم أمر براحلة فرحلت ، ثم مرت تحتهما فلم تصبهما .

وهذا من اكرام الله لأصحاب رسوله إذ فني زادهم ولم يبق عندهم ما يقتاتون به .

كرامة أخرى

وحديث كعب بن مالك فى البخارى

قال الله تعالى (لقد تاب الله على النبى ، الآيات إلى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله الااليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم)

وقصة هؤلاء الثلاثة مذكورة فى التفاسير ودواوين الحديث فليقرأها من شاء ليرى اكرام الله عباده الصادقين وليتدبر قوله تعالى (وظنوا ألا ملجأ من الله الا اليه) وظنوا هنا بمعنى علموا وقد كان النبي ﷺ والصحابة هاجرين لهم فظلوا أربعين أو

خمسين ليلة لم يقل الرسول فيهم شيئاً حتى نزلت عليه الآيات بتوبة الله عليهم ، وصدق الله العظيم حيث يقول (ليس لك من الأمر شيء) الآية

كرامة أخرى من الخوارق

ذكر البخارى ومسلم حديث الثلاثة الذين انسد عليهم غار فى الجبل ودعا كل واحد منهم بعمل صالح كان أخلص فيه لله ففرج الله عنهم وخرجوا ، وفيه أنهم توسلوا الى الله بأعمالهم لا بأنبيائهم ولا بغيرهم .

كرامة أخرى أكرم الله بها أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها

ومما أكرم الله به أم المؤمنين عائشة زوجة النبى ﷺ ورضى عنها ما أنزل فى براءتها من فوق سبع سموات ، قرآناً يتلى فى المحاريب إلى يوم القيامة .

كرامة أخرى لازواج النبى ﷺ تحتها كرامات

ومما أكرم الله به أمهات المؤمنين أزواج النبى (ص) ما أثنى به عليهن فى القرآن وما خاطبهن به من كلامه جل شأنه فى قوله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم

تطهيراً) وتخييرهن فى قوله « يا أيها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيما) وتوفيق الله تعالى لهن حتى اخترن الله ورسوله والدار الآخرة ، واكرامهن بعد بقوله تعالى لرسوله (ص) « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك » الآية وتحريمهن على غيره بعد وفاته (ص) بقوله «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيما »

كرامات اخرى

ذكر البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال بعث النبى (ص) سرية عيناً وأمر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزلوه

فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم ، فلما انتهى عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدفد وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق إن نزلتم الينا ألا نقتل منكم رجلا ، فقال عاصم ، أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر ، اللهم اخبر عنا نبيك ، فقاتلوهم حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر بالنبل وبقى خبيب وزيد ورجل آخر فأعطوهم العهد والميثاق ، فلما أعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم ، فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث الذى معهما هذا أول الغدر فأبى أن يصحبهم فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيباً ، وكان خبيب قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتـله استعار موسى من بعض بنات الحرث ليستحد بها فأعارته ، قالت فغفلت عن صبى لى فدرج اليه حتى أتاه فوضعه على فخذه ، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذاك منى وفى يده الموسى ، فقال أتخشين أنى أقتله ؟ ما كنت لأفعـل ذاك ان شاء الله ، وكانت تقول : ما رأيت أسيراً قط خيراً

خيرا من خبيب ،لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وأنه لموثق فى الحديد وما كان الا رزق رزقه الله فخرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال دعونى أصلى ركعتين ثم انصرف اليهم فقال لولا أن تروا أن مابي جزع من الموت لزدت فكان أول من سن الركعتين عند القتل هو ثم قال اللهم احصهم عددا ثم قال

فلست أبالى حين أقتل مسلما على أى شق كان لله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة بن الحرث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه به وكان عاصم قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء — ومن الكرامات المشهورة ماروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نداؤه سارية وكان ساريه أمير جيش أرسله عمر وكان الأعداء سيحيطون به وبجنده فأطلع الله عمر حتى نادى سارية وقال له الجبل الجبل فأوى إلى الجبل ففشلت مكيدة عدوه ونجا وجنده

فهذه كرامات عن الصحابة ذكرناها وهى قل من كثر

ونقطة من بحر ولو أردنا أن نملأ مجلدات بمثل هذه الكرامات عن المتقدمين والمتأخرين من أولياء الله وعباده الصالحين لعجزنا وكيف نحصى نعم الله على عباده وهو القائل جل شأنه (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) وما الكرامات إلا نعم من الله ينعم بها على خواص عباده

جعلنا الله منهم وحشرنا فى زمرتهم

وبعد فالخلاف الذى بيننا وبين عباد القبور ليس فى اثبات الكرامات ولا نفيها وانما الخلاف بيننا وبينهم أنهم اتخذوا الكرامات ذريعة الى عبادة أصحابها ويرون أنها تستلزم التوسل بهم وتقتضى دعاءهم والاستشفاع بهم والنذر لهم والطواف حول أضرحتهم وتماثيلهم على أنهم لا يعرفون من الكرامة إلا لفظها بل لا يعرفون معنى اللفظ حتى أنهم ليضعون اسم الكرامة على مسمى الخرافة والشعوذة ولا يميزون بين أولياء الله وأعدائه مع أنهم يقرءون لابن عربى مثلا كتبه الكفرية فيؤولونها له ويقرءون للشعرانى وأمثاله ماتقشعر منه الجلود من الكفر والالحاد وهم يعظمون تمثاله بمصر فهم قوم لاعقول لهم ولا علم عندهم الا كما عند الأباعر عافانا الله بمنه وكرمه

أعظم الكرامات وأفضلها

إن أعظم مايكرم الله به عباده الأبرار هوهدايتهم صراطه المستقيم وتمسكهم بحبله المتين واقتداؤهم بنبيه الكريم عليه الصلاةوأتم التسليم

وقد تكون هذه الهداية من الخوارق ومن قرأ سيرة الصحابة تحقق ذلك وأيقن به فهذا عمر بن الخطاب كان عدوا لدودا للاسلام قبل أن يسلم حتى أنه ضرب أخته وحتى أنه اخترط سيفه وذهب إلى رسول الله ﷺ معتزما قتله وماهى إلا خطوات حتى لقى الرسول ﷺ وأسمعه آيات من القرآن فأسلم وأصبح من أولياء الله بعد ان كان عدوا لله ولرسوله وللمؤمنين وهذا سلمان الفارسى وقصته العجيبة فليقرأها من شاء ليرى كيف يكون اكرام الله لمن أراد لهم السعادة

وقد قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) ولله ما أحلى وألذ وأشرف وقوف عبد بين يدى رب السموات والأرض يناجيه ويثنى عليه ، ويسأله ويخصه بالعبادة — إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا

الضالين) ثم يتلو بعض آى من كلامه الحكيم متعظا به ثم يحقق العبودية بالركوع والسجود بعد تحقيقها بالقيام وطول القنوت فأى موقف للعبد لو كان يعقل أشرف من هذا الموقف وأية كرامة أفضل من هذه الكرامة التى تفضل الله بها على عباده

وان من الكرامات توفيق الله العبد لأنواع من الطاعات كالصيام والزكاة والحج ونوافل العبادات وإلهامه ذكره وشكره على كل حال .

أفضل أولياء الله تعالى

أفضل أولياء الله تعالى أعظمهم معرفة بما جاء به الرسول ﷺ واتباعا له كالصحابة الذين هم أكمل الأمة فى معرفة دينه واتباعه وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به وعملا فهو أفضل أولياء الله إذا كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم وأفضلها الصحابة وأفضلهم أبو بكر رضى الله عنه

وكل من ادعى أنه ينال الولاية من غير متابعة رسول الله ﷺ فهو ضال ملحد — قال تعالى ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا — ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين

نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا — وسبيل المؤمنين هى سبيل النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين وسواها سبيل الشياطين

واعلم ان كرامات الأولياء لابد أن يكون سببها الايمان والتقوى فأما ما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله فمن كانت خوارقه لاتحصل بالصلاة والقراءة والذكر وقيام الليل والدعاء وانما تحصل عند الشرك مثل دعاء الميت والغائب أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات كالحيات والزنابير والخنافس والدم وغيره من النجاسات ومثل الغناء والرقص لاسيما مع النسوة الأجانب والمردان وتنقص حالة خوارقه عند سماع القرآن وتقوى عند سماع مزامير الشيطان فيرقص ليلا طويلا فاذا جاءت الصلاة صلى قاعدا وينقر الصلاة نقر الديك وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه ويتكلفه ليس له فيه محبة ولاذوق ولا لذة عندوجده ويحب سماع المكاء والتصديةويجدعنده مواجيد فهذه أحوال شيطانية وهو ممن يتناوله قوله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وذكر الرحمن

هو القرآن ـ وقال (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لِـم حشرتنى أعمى وقدكنت بصيراً ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) قال ابن عباس رضى الله عنهما: تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه ألا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ، ثم قرأ هذه الآية .

ومما ينبغى أن يعلم أنه ليس كل من حصل له نعم دنيوية يكون الله تعالى مكرماً له بها ؛ ولا كل من قُدر عليه ذلك يكون مهينا له بذلك بل الله تعالى يبتلى عبده بالسراء والضراء فقد يعطى النعم الدنيوية لمن لا يحبه ؛ وليس هو بكريم عنده ليستدرجه بذلك ، وقد يحمى منها من يحبه ويواليه لئلا ينقص بذلك مرتبته عنده أو يقع بسببها فيما يكرهه منه ، قال تعالى (فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن ؛ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن . كلا)

فوائد لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

وقدنقلنا جملا من كتابه الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء

الشيطان فيما مضى ، وننقل هنا ما يأتى بتصرف قال : والشيطان يضل بنى آدم بحسب قدرته ، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها كما يفعل أهل دعوة الكواكب ، فانه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور ، ويسمون ذلك روحانية الكواكب ، قلت : ولهذه الكواكب دعوات وعزائم ويزعمون أن لها خداماً موكلين بها يقضون حوائج من دعاها وقد رأيت من ذلك فى بلدنا شيئاً كثيراً

قال الشيخ الامام : والشيطان وإن أعان الانسان على بعض مقاصده فانه يضره أضعاف ما ينفعه ، وعاقبة من أطاعه إلى شر الا أن يتوب الله عليه ، وكذلك عباد الأصنام قد تخاطبهم الشياطين ، وكذلك من استغاث بميت أو غائب ، وكذلك من دعا الميت أو دعا به أو ظن أن الدعاء عند قبره أفضل منه فى البيوت والمساجد ، ويروون حديثاً هو كذب باتفاق أهل العلم بالحديث وهو : إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور . وانما هذا من وضع من فتح باب الشرك ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم من عباد الأصنام والنصارى والضلال من المسلمين أحوال عند المشاهد يظنونها كرامات وهى من

الشياطين ، مثل أن يضعوا سراويل عند القبر فيجدونه قد انعقد أو يوضع عنده مصروع فيرون شيطانه قد فارقه ، يفعل الشيطان هذا ليضلهم ، وإذا قرأت آية الكرسى هنا بصدق بطل هذا ، فان التوحيد يطرد الشيطان ؛ ولهذا حمل بعضهم فى الهواء ، فقال لا إله إلا الله فسقط ـ ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قدانشق وخرج منه انسان فيظنه الميت وهو شيطان وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضع .

ولما كان الانقطاع إلى المغارات والبوادى من البدع التى لم يشرعها الله ولا رسوله صارت الشياطين كثيراً ما تأوى المغارات والجبال مثل مغارة الدم التى بجبل قايسون وجبل لبنان وجبل الفتح باسوان بمصر ، وجبال بالروم وخراسان وجبال بالجزيرة وغير ذلك ، وجبل اللكام وجبل سولان قرب أردبيل وجبل شهبنك عند تبريز وجبل نهاوند وغير ذلك من الجبال التى يظن بعض الناس أن بها رجالا من الصالحين من الانس ويسمونهم رجال الغيب ، وانما هناك رجال من الجن ومن هؤلاء من يظهر بصورة رجل شعرانى جلده يشبه جلد الماعز فيظن من لا يعرفه أنه انسى وانما هو جنى ، ويقال بكل جبل من

هـذه الجبال ، الأبدال الأربعون ، وهؤلاء الذين يظن أنهم أبدال هم جن بهذه الجبال كما يعرف ذلك بطرق متعددة ، وهذا باب لا يتسع هذا الموضع لبسطه وذكر ما نعرفه من ذلك فانا قد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه فى هذا المختصر

والناس فى خوارق العادات على ثلاثة أقسام ، قسم يكذب بوجود ذلك لغير الانبياء وربما صدق به مجملا ، وكذب مايذكر له عن كثير من الناس لكونه عنده ليس من الاولياء ـ ومنهم من يظن كل من كان له نوع من خرق العادة كان ولياً لله وكلا الأمرين خطأ ، ولهـــذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين وانهم من أولياء الله ؛ وأولئك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة والصواب القول الثالث وهو ان معهم من ينصرهم من جنسهم لا من أولياء الله عز وجل كما قال « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم)

وهـؤلاء العبّاد والزهاد الذين ليسوا من أوليـاء الله المتقين المتبعين للكتاب والسنة تقترن بهم الشياطين فيكون

لأحدهم من الخوارق مايناسب حاله لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضا وإذا حصل من له تمكن من أولياء الله تعالى أبطلها عليهم ولا بد أن يكون فى أحدهم من الكذب جهلا أو عمدا ومن الاثم ماينسب حال الشياطين المقترنة بهم ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين قال تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم)والأفاك الكذاب والاثيم الفاجر

ومن أعظم مايقوى الأحوال الشيطانية سماع الغناء والملاهى وهو سماع المشركين قال تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) قال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وغيرهما من السلف التصدية التصفيق باليد والمكاء مثل الصفير فكان المشركون يتخذون هذا عبادة ثم ذكر عبادة النبي ﷺ وأصحابه

وأما النبي ﷺ وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك والاجتماعات الشرعية ولم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه على غناء قط لابكف ولابدف ولا تواجد ولاسقطت بردته كما يقول الافاكون وكان أصحابه إذا اجتمعوا أمروا واحد منهم أن يقرأ والباقون يستمعون وكان عمر بن

الخطاب يقول لأبى موسى الأشعرى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون ومر النبي ﷺ بأبى موسى الأشعرى وهو يقرأ فقال له مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت استمع لقراءتك فقال لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيرا أى لحسنته لك تحسينا كما قال النبي (ص) زينوا القرآن بأصواتكم وقال (ص) لله أشد أذنا أى استماعا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته وقال (ص) لابن مسعود اقرأ على القرآن فقال أقرأ عليك وعليك أنزل فقال انى أحب أن أسمعه من غيرى فقرأت عليه سورة النساء حتى انتهيت إلى هذه الآية فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فاذا عيناه تذرفان من البكاء

ومثل هذا السماع هو سماع النبيين وأتباعهم كما ذكر الله فى القرآن فقال (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا — وقال فى أهل المعرفة (وإذا سمعوا ما أنزل الله إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق

يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين)

ومدح سبحانه أهل هـذا السماع بما يحصل لهم من زيادة الايمان واقشعرار الجلد ودمع العين فقال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) وقال تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم

السماع الشيطاني

أما السماع المحدث سماع الكف والدف والقصب فلم تكن الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر الأكابر من أئمة الدين يجعلون هذا طريقا إلى الله تبارك وتعالى ولا يعدونه من القرب والطاعات بل يعدونه من البدع المذمومة حتى قال الشافعى رحمه الله (خلفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التغيير يصدون به الناس عن القرآن

وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك ويعلمون أن للشيطان

فيه نصيبا وافرا ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم ، ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله كان نصيب الشيطان فيه أكثر وهو بمنزلة الخمر يؤثر فى النفوس أعظم من تأثير الخمر ولهذا إذا قويت سكرة أهله نزلت عليهم الشياطين وتكلمت على ألسنة بعضهم وحملت بعضهم فى الهواء ، وقد تحصل بينهم عداوة كما تحصل بين شراب الخمر فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر فيقتلونه ويظن الجهال أن هذا من كرامات أولياء الله المتقين وإنما هذا مبعد لصاحبه عن الله وهو من أحوال الشياطين فان قتل المسلم لايحل إلا بما أحله الله فكيف يكون قتل المعصوم مما يكرم الله به أولياءه

وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة فلم يكرم الله عبدا بمثل أن يعينه على مايحبه ويرضاه ، ويزيده مما يقربه اليه ويرفع به درجته .

أنواع الخوارق

الخوارق منها ماهو من جنس العلم كالمكاشفات ومنها ماهو من جنس القدرة والملك كالتصرفات الخارقة للعادات ومنها ماهو من جنس الغنى — وجميع مايؤتيه الله لعبده من هذه

الأمور أن استعان به على مايحبه الله ويرضاه ويقربه اليه ويرفع درجته عنده ازداد بذلك رفعة وقرباً إلى الله وعلت درجته وإن استعان به على ما نهى الله عنه ورسوله كالشرك والظلم والفواحش استحق بذلك الذم والعقاب ، فان لم يتداركه الله تعالى بتوبة أو حسنات ماحية وإلا كان كأمثاله من المذنبين ـ ولهذا كثيراً ما يعاقب أصحاب الخوارق تارة بسلبها كما يعزل الملك عن ملكه ويسلب العالم علمه ، وتارة بسلب التطوعات فينقل من الولاية الخاصة إلى العامة ، وتارة ينزل إلى درجة الفساق ، وتارة يرتد عن الاسلام والعياذ بالله ، وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية ، فان كثيراً من هؤلاء يرتد عن الاسلام ، وكثير منهم لا يعرف إن هذه شيطانية بل يظنها من كرامات أولياء الله ، ويظن من يظن منهم أن الله عزوجل إذا أعطى عبداً خرق عادة لم يحاسبه على ذلك ، كمن يظن أن الله إذا أعطى عبداً ملكاً ومالا وتصرفاً لم يحاسبه عليه .

ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة لا مأمور بها ولا منهى عنها ، فهذا يكون من عموم الأولياء وهم الابرار المقتصدون .

وأما السابقون المقربون فأعلى من هؤلاء . كما أن العبد الرسول أعلى من النبي الملك .

ولما كانت الخوارق كثيراً ما ينقص بها درجة الرجل كان كثيراً من الصالحين يتوب من مثل ذلك ويستغفر الله تعالى كما يتوب من الذنوب كالزنا والسرقة ، وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها ـ وكلهم يأمر المريد السالك ألا يقف عندها ولا يجعلها همته ، ولا يتبجح بها مع ظنهم انها كرامات ، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تغويهم بها ؟

سبب الكرامات

وبالجملة فسبب اكرام الله تعالى لعباده المتقين وأوليائه الصالحين انما هو الايمان والتقوى ، كما قال فى وصفهم بسورة يونس (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)

أما ما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله .

فمن كانت خوارقه لاتحصل بالصلاة والذكر والقراءة وقيام

الليل والدعاء ، وانما تحصل عند الشرك ، مثل دعاء الاموات والغائبين ، أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات كالحيات والزنابير والاخفشة ، ومثل الرقص والغناء ؛ لاسيما مع النساء الاجنبيات والمردان ، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن وتقوى عند سماع مزامير الشيطان فيرقص ليلا طويلا ، فاذا جاءت الصلاة صلى قاعداً ، أو ينقر الصلاة نقر الديكة ، وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه ويتكلفه ، وليس له فيه محبة ولا ذوق ولا لذة ؛ ويحب سماع المكاء والتصدية ويجد عنده مواجيد ، فهذه أحوال شيطانية وهو ممن يتناوله قوله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) فالقرآن هو ذكر الرحمن ، قال تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى .. الى قوله ـ وكذلك اليوم تنسى) يعنى نتركك كما تركت العمل به .

قال ابن عباس رضى الله عنه : تكفل الله لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه ألا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة . ثم تلا هذه الآية .

أحوال الجن مع الانس

ذكر الشيخ الامام فى كتابه الفرقان أيضاً مايأتى ننقله هنا كما نقلنا غيره من هذا الكتاب اتماماً للفائدة وليقرأه من لم يقف على الأصل وبالله التوفيق .

ان الجن مع الانسان على أحوال ، فمن كان من الانس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه ويأمر الانس بذلك فهو من أفضل أولياء الله تعالى وهو فى ذلك من خلفاء الرسول ﷺ ونوابه ؛ ومن كان يستعمل الجن فى أمور مباحة له ، فهو كمن استعمل الانس فى أمور مباحة له ، فهو كالملوك الذين يفعلون مثل ذلك ، وهذا إذا قدر أنه من أولياء الله تعالى فغايته أن يكون فى عموم أولياء الله مثل النبي الملك مع العبد الرسول ، كسليمان ويوسف مع ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله ، إما فى الشرك ، وإما فى قتل معصوم الدم ، أو فى العدوان عليه بغير القتل كتمريضه وانسائه العلم وغير ذلك من الظلم ، وإما فى

فاحشة كجلب من يطلب منه الفاحشة ، فهذا قد استعان بهم على الاثم والعدوان ، ثم ان استعان بهم على الكفر فهو كافر ، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص ، اما فاسق واما مذنب غير فاسق .

وإن لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات مثل أن يستعين بهم على الحج ، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي ، أو أن يحملوه إلى عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذى أمر الله به ورسوله ، وأن يحملوه من مدينة الى مدينة فهذا مغرور قد مكروا به ، وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن ، بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات خوارق للعادات ، وليس عندهم من حقائق الايمان ومعرفة القرآن مايميز به بين الكرامات الرحمانية والتلبيسات الشيطانية فيمكرون به بحسب اعتقاده ، فان كان شركا يعبد الكواكب والأوثان أوهموه أنه ينتفع بتلك العبادة ، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل ممن صور ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح ، فيظن أنه يعبد ذلك النبي أو الصالح

وتكون عبادته فى الحقيقـة للشيطان ، قال الله تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون)

ولهذا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم له .

ولهذا يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون فان كان نصرانيا واستعان بجرجس أو غيره ، جاء الشيطان فى صورة جرجس أومن يستغيث به ، وان كان منتسباً الى الاسلام واستغاث بشيخ يحسن به الظن من شيوخ المسلمين جاء فى صورة ذلك الشيخ ، وإن كان من مشركى الهند جاء فى صورة من يعظمه ذلك المشرك .

(قلت) ومن هذا يتبين لك أن الجن قد يمكرون ببنى آدم ، وان الانس قد تسخر لهم الجن فيما يريدون استدراجاً من الله وفتنة لهؤلاء وهؤلاء . والمعصوم من عصم الله ، وتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ

الفرق بين الكرامات

والشعوذة والخزعبلات

قلنا فيما تقدم إن الكرامات هي ما يكرم الله بها عباده الاولياء . وضربنا لهذه الكرامات أمثالا مما وقع للصحابة رضى الله عنهم وغيرهم ودللنا على وقوعها من القرآن والسنة الصحيحة وأما الشعوذة والخزعبلات فهى مايعملها الدجاجلة بأيديهم كى يخلبوا بها ألباب العوام ويصرفوا اليها الانظار فيغتر بها الجهلة ويعتقدوا فى أصحابها الولاية والقدرة على مالايقدر عليه الا الله

ومن ذلك علم الغيب . وللدجاجلة فيه فصول يحاولون بها اضلال العامة وحملهم على الاعتقاد فيهم .

ومنها خزعبلات ينسبونها إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى ومنها المنن للشعراني ، ومنها ما يدخل فى باب الكفر الصريح كما يحكون أن بعضهم كان له مريد مات ولده فشكى الى الشيخ فنظر الشيخ بين السماء والارض فوجد عزرائيل وفى يده جيراب الارواح فضربه على يده فانفتح الجيراب فطارت الارواح التى قبضها فى ذلك اليوم فأخذ روح الطفل فأتى عليه

عزرائيل فضربه الشيخ على عينه فقلعها ، فذهب عزرائيل يشتكى الى ربه فلم يشكه وقال له : لِم لم تعطه روح ابن مريده ؟ وهذا غير معقول ولا يصدقه الا كل مخبول

وفيه من الكفر والقول على الله بما لا يليق بجلاله وكماله ولا يمكن أن يكون لولى ولا نبى .

ونجد كثيرا من العامة وأشباه الخاصة يصدق كل ما يراه مطبوعاً فى كتاب كأنه أنزل من السماء ، وأكثر ما يصدق به العامة وأمثالهم من الخاصة علم الغيب ، فاذا قال لهم مخبول كلمة وصادفت ما عندهم اعتقدوا فيه الولاية ولو كان تاركاً للصلاة مرتكباً جميع المنكرات ، ويدخلونه على نسائهم ويعتقدون فيه البركة وهو ولى الشيطان ، فالى الله المشتكى من هؤلاء الجهلة

والى هنا انتهت رسالة الاولياء والكرامات والله نسأل أن يعيننا على طبع ما بقى من الكتب والرسائل بمنه وكرمه وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

أبو السمح

الفهرس